من آثار أئمة السلف
١

مشروعية زيارة القبور

وشعور الأرواح بزيارة الأحياء، وترددهم على بيوت ذويهم

لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية
(٦٩١ - ٧٥١)

عني بنشره؛ ووقف على طبعه
السيد عزت العطار الحسيني
مؤسس ومدير مكتب نشر الثقافة الإسلامية
من أقدم عصورها إلى الآن

١٣٧٥ هـ — ١٩٥٥ م

إهداء الرسالة

« إلى تلك الرُّوح الطاهرة ، إلى تلك الرُّوح الكبيرة ؛ »

« إلى تلك الرُّوح العظيمة : التى كانت للصديق مثال الوفاء ؛ »

« وللضَّال طَرِيق الرشَّاد ، وللبائس الفقير أكبر معوان ؛ »

« إلى تلك الرُّوح : التى جاورَتْ الرَّفيق الأعلى : راضيةً مرضية ؛ »

« إلى رُوح صديقنا ، وحبيبنا ، السيد صادق بن الشيخ محمد القطب »

« أسبغ الله عليه شآبيب رحمته ، وأسكنه فسيح جَنَّاتِه ؛ »

« إنه سميع مجيب » . م

فى ١٢ من المحرم سنة ١٣٧٥

المخلص الوفى

السيد عزت العطار الحسينى

كلمة الناشر :

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَيسْأَلُونك عنِ الرّوح ؛ قُل : الرُّوح من أَمر رَبِّى . »

صدق الله العظيم

الحمد لله الذى جعل الروح سراً من الأسرار الخفية ، أستأثر بعلمه لذاته العلية ؛ والصلاة والسلام على أشرف البرية : نبينا سيد الأنبياء والمرسلين ، المبعوث رحمة للعالمين ؛ صلى الله عليه ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد : فإن شره العقول حمل الإنسان على الخوض فى كل مكان من مباحث الروح التى صعبت مسالكها ، وعلت مداركها . وهل هى تَطَّلع على أعمالنا ، وتَشْعُر بوجودنا ؟ أم لا ؟ .

ولعلماء الإسلام — قديماً وحديثاً — بحوث مستفيضة فى هذه الناحية التى شغلت أفكار المفكرين . بل لفلاسفة الغرب ، اشتغال طويل بمباحثها وأحوالها : محاولين إدخال الأرواح البشرية تحت سلطان تصرفهم المادى ، بتجارب يتخيلون إمكان إجرائها ، فى احضارها ومخاطبتها ؛ شأنهم فى جميع التجارب المادية .

***

والإنسان بطبعه — إذا خلا بنفسه ، مجرداً عن مشاغل الدنيا ، مفكراً بالمصير الذى ينتظره عاجلاً أو آجلاً — لا يخلوا من التفكير فى شؤون الروح ، وعجائب أسرار

الله فيه . فيرغب فى الاطلاع على ما قاله أساطين أهل العلم ، فى هذه المسألة العويصة ، عن إدراك كنه ذلك الآمر الربانى العجيب ، الذى وصفه البدر العينى فى شرح البخارى بقوله : « هو جوهر لطيف نورانى : يكدره الغذاء والأشياء الرديئة الدنيئة ؛ مدرك الجزئيات والكليات ؛ حاصل فى البدن متصرف فيه ، غنى عن الاغتذاء ، برئ عن التحلل والنماء . ولهذا يبقى بعد فناء البدن : إذ ليست له حاجة إلى البدن . ومثل هذا الجوهر لا يكون من عالم العنصر ، بل من عالم الملكوت ؛ فمن شأنه : أن لا يضره خلل البدن ، ويلتذ بما يلائمه ، ويتألم بما ينافيه . . . » الخ .

ثم إن المهم الذى نقصد إلى الوقوف على حقيقته — كما يقصده كل إنسان — هو : أين مصير ذلك الجوهر (الروح) بعد مفارقته لهذا الجسد الفانى ؟ وأين يستقر ؟ وهل يتعرف إلى من يعرفه من الأقارب والأصدقاء الذين سبقوه إلى الدار الآخرة ، والذين لا يزالوان فى هذه الدار ؟ . إلى غير ذلك : من البحوث التى تشغل فكر الرجل الذى يعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً ؛ ويعمل لآخرته كأنه يموت غداً .

***

فدونك — أيها القارىء الفاضل ، الباحث وراء الحقيقة — ثلاث مسائل عويصة فى هذا الشأن ؛ وهى :

(الأولى) : هل تعرف الأموات زيارة الأحياء وسلامهم ؟ أم لا ؟ .

(الثانية) : هل تتلاقى أرواح المؤمنين وتتذاكر ؟ أم لا ؟ .

(الثالثة) : هل تتلاقى أرواح الأحياء وأرواح الأموات ؟ أم لا . ؟ .

فهذه المسائل الثلاث الخطيرة — التى يعجز عن إدراكها عقول جمهور الجبابرة من فحول العلماء الأعلام — قد حل رموزها ، وكشف عن حقيقتها ، وأبان سِرّ طَلاسمها الإمام

ابن القيم ؛ بأدلة قاطعة ، و براهين ساطعة ؛ دعمها من الكتاب والسنة ، وآثار الصحابة وعلماء السلف رضى الله عنهم .

***

أما المؤلف ، فهو :

أبو عبد الله شمس الدين : محمد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعى ، ثم الدمشقى ؛ المعروف : بابن القيم ؛ إمام المدرسة الجوزية الحنبلية ، وابن قيمها .

ولد سنة إحدى وتسعين وستمائة . وكان : عالماً ، فقيهاً ، أصولياً ، مفسراً ، نحوياً .

وكان :فصيح اللسان ، واسع العلم والبيان ؛ عالماً بالخلاف ومذاهب السلف.

أم بالمدرسة الجوزية بدمشق ، ودرس بالصدرية مدة طويلة . وتصدر للاشتغال ، بالعلم ونشره ليلاً ونهاراً .

غلب عليه حب شيخه ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شىء من أقواله ؛ بل ينتصر له فى كل ما يقوله و يدرسه .

وكان : زاهداً ، عابداً ، متهجداً ، قانتاً ؛ إذا صلى الصبح جلس مكانه يذكر الله تعالى حتى تشرق شمس النهار . حج مرات كثيرة ، وجاور بمكة . وامتاز بحسن الخلق ، وكثرة التودد للناس ، لا يحسد ولا يحقد .

***

شيوخه وتلاميذه :

سمع : من الشهاب النابلسى ، والقاضى تقى الدين سليمان ، وأبى بكر بن عبد الدائم ، وابن الشيرازى ، و إسماعيل بن مكتوم ؛ وغيرهم .

وأخذ العربية : عن أبي الفتح ، والمجد التونسى ؛ والفقه : عن المجد الحرانى ؛ والأصول : عن الصفى الهندى .

ولما عاد من مصر ـ سنة اثنتى عشرة وسبعمائة ـ : تتلمذ على ابن تيمية ، فأخذ عنه معظم علمه ، ولازمه حتى مماته .

* * *

أخذ عنه : الشيخ شمس الدين محمد بن عبد القادر النابلسى ، المعروف : بالجنة ؛ صاحب « مختصر طبقات الحنابلة لأبى يعلى » . والحافظ زين الدين : أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب ، مؤلف : « ذيل طبقات الحنابلة » ؛ وأخذعنه ولداه: الحافظ إبراهيم ، وعبد الله ؛ وغيرهما.

* * *

أقوال المؤرخين فيه :

قال الحافظ ابن ناصر الدين : « هو الإمام العلامة : شمس الدين ، أحد المحققين ، عَلَم المصنفين ، نادرة المفسرين . له التصانيف الأنيقة ، والتآليف التى فى علوم الشريعة والحقيقة » .

وقال الذهبى فى المعجم المختص : « عنى بالحديث ومتونه و بعض رجاله . وكان يشتغل فى الفقه ويجيد تقريره ، وفى النحو ويدريه . تصدر للاشتغال ونشر العلم . » .

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلى : « شيخنا الإمام العلامة ؛ لم أشاهد مثله فى العبادة ، ولا رأيت أوسع منه علماً ، ولا أعرف بمعانى القرآن والسنة وحقائق

الإيمان ، منه . وهو ليس بالمعصوم ؛ ولـكن لم أر فى معناه مثله » . وهى كلمة حق : يجب أن يتنبه لها .

وقال ابن كثير : « كان طويل النفس فى مصنفاته ، يتعانى الإيضاح جهده فيسهب جداً ؛ وله فى ذلك ملـكة قوية . وكان : كثير العبادة ، لا أعرف فى زماننا — من أهل العلم — من هو أكثر عبادة منه .

وكان : جماعاً للـكتب ، فحصل له منها مالا يحصر حتى كان أولاده يبيعون منها بعد موته دهراً طويلاً ، سوى ما اصطفوه منها لأنفسهم . » . ونرى : أنه انتفع بتلك الـكتب فى مؤلفاته انتفاعا عظيما ونقل الـكثير منها وعن شيخه ابن يتيمة .

***

مؤلفاته :

له مؤلفات كثيرة فى شتى العلوم منها : إعلام الموقعين ، وزاد المعاد فى هدى خير العباد ، و إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، وأمثال القرآن ، و بدائع الفوائد ، والتبيان فى أقسام القرآن ، وشفاء الغليل ، وتفسير سورة الفاتحة ، وتفسير المعوذتين ، وتهذيب مختصر سنن أبى داود ، وكتاب الروح ، وزاد المسافر إلى منازل السعداء ، وشرح الأسماء الحسنى ، ومفتاح دار السعادة ، والطرق الحـكمية ، والوابل الصيب ، وطريق الهجرتين ، واجتماع الجيوش الإسلامية ، وغير ذلك .

***

وفاته :

توفى — رحمه الله — : وقت عشاء الآخرة لليلة الخميس ثالث عشر رجب ، سنة إحدى وخمسين وسبعمائة . وصُلِّى عليه من الغد بالجامع الأموى عقيب الظهر ، ثم بجامع الجراح بالباب الصغير . وكانت جنازته حافلة جداً ، ودفن بمقبرة الباب الصغير عند والديه رحمه الله وغفر لهم .

***

هذا . و إننى اعتزمت ـ بحول الله وقوته ـ متابعة نشر رسائل علمية قيمة ، تحت عنوان : « من آثار أئمة السلف » مسلسلة الأعداد . فأرجو من الله سبحانه وتعالى : أن يتقبلها خالصة لوجهه الكريم ، وأن يوفقنا لخدمة العلم ونشر آثار أئمة السلف الصالح ؛ وأن يقينا وصديقنا الأديب الفاضل ؛ ناشر العلوم والمعارف ، السيد محمد نجيب أمين الخانجى ـ بمنه وفضله وكرمه ـ حسد الحاسدين ، وشر المنافقين الدجالين ، وهو وحده ولى العون والتوفيق ، وعليه أتوكل ، و إليه أنيب ؟

أبو أسامة

السيد عزت العطار الحسينى

بسم الله الرحمن الرحيم

المسئلة الأولى

وهى : هل تعرف الأموات زيارة الأحياء وسلامهم أم لا ؟ .

قال الشيخ الإمام ، العالم العامل ، ترجمان القرآن — ذو الفنون الحسان — : شيخ الإسلام ، قدوة الانام ، أوحد الحفاظ ـ فارس المعانى والألفاظ ـ : علامة العلماء ، وارث الأنبياء ، عمدة المفسرين ، بقية المجتهدين ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ الامام ، العالم العامل ، شرف الدين أبى بكر بن الشيخ الكبير أيوب بن سعد الشهير بابن قيم الجوزية الحنبلى الدمشقى قدس الله تعالى روحه ، ونور ضريحه ، وجعل أبواب الجنان بين يديه مفتوحة — ولسائر علماء الإسلام — الجهابذة النقاد الأعلام آمين ؛ وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين وآله وصحبه أجمعين .

***

قال ابن عبد البر : ثبت عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « مَا مِن مُسْلِم يمر على قبر أخيه كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه إلاّ ردّ الله عليه روحه حتى يرد عَلَيْهِ السلام . » . فهذا نص فى أنه يعرفه بعينه ، ويرد عليه السلام .

وفى الصحيحين عنه صلّى الله عليه وآله وسلم من وجوه متعددة ، «أنه أمر بقتلى بدر ، فألقوا فى قليب ، ثم جاء حتى وقف عليهم وناداهم بأسمائهم : يا فلان بن فلان ، ويا فلان بن فلان: هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقاً .

فقال له عمر يا رسول الله : ماتخاطب من أقوام قد جيفوا ؟! فقال : والذى بعثنى بالحق ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون جوابا . » .

وثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم : ان الميت يسمع قرع نعال المشيعين له إذا انصرفوا عنه .

وقد شرع النبى صلى الله عليه وآله وسلم لامته إذا سلموا على أهل القبور أن يسلموا عليهم سلام من يخاطبونه فيقول : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين » . وهذا خطاب لمن يسمع و يعقل ؛ ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد .

والسلف مجمعون على هذا ، وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف زيارة الحى له و يستبشر به .

***

قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبى الدنيا فى « كتاب القبور » . باب معرفة الموتى بزيارة الأحياء .

حدثنا محمد بن عون ، ثنا يحيى بن يمان ، عن عبد الله بن سمعان ، عن زيد بن أسلم ، عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : « ما من رجل يزور قبر أخيه و يجلس عنده إلاّ استأنس به ورد عليه حتى يقوم . » .

حدثنا محمد بن قدامة الجوهرى ، ثنا معن بن عيسى القزاز ، أخبرنا هشام بن سعد ، ثنا زيد بن أسلم ، عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : « إذا مرّ الرجل بقبر أخيه يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه ؛ و إذا مرّ بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام . » .

حدثنا محمد بن الحسين ، حدثنى يحيى بن بسطام الأصغر ، حدثنى مسمع ، حدثنى : رجل من آل عاصم الجحدرى قال : رأيت عاصما الجحدرى فى منامى بعد موته بسنتين

فقلت : أليس قَدْ مُتَّ ؟ قال : بلى . قلت : فأين أنت ؟ قال : أنا والله فى روضة من رياض الجنة ، أنا ونفر من أصحابى نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى بكر بن عبد الله المزنى فَنَتلقى أخباركم . (قال) قلت : أجسادكم أم أرواحكم ؟ قال : هيهات بليت الأجسام وإنما تتلاقى الأرواح . (قال) قلت : فهل تعلمون بزيارتنا إياكم ؟ . قال : نعم . نعلم بها عشية الجمعة ، ويوم الجمعة كله ، ويوم السبت إلى طلوع الشمس . (قال) قلت : فكيف ذلك دون الأيام كلها ؟ قال : لفضل يوم الجمعة وعظمته .

وحدثنا محمد بن الحسين ، حدثنى بكر بن محمد ، ثنا حسن القصاب قال : كنت أعدو مع محمد بن واسع فى كل غداة سبت حتى نأتى الجبان فنقف على القبور فنسلم عليهم وندعو لهم ثم ننصرف . فقلت ذات يوم : لو صيرت هذا اليوم يوم الاثنين ؟ قال : بلغنى أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ، ويوماً قبلها ، ويوماً بعدها .

حدثنى محمد ، ثنا عبد العزيز بن أبان قال : ثنا سفيان الثورى ، قال : بلغنى عن الضحاك أنه قال : من زار قبراً يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته فقيل له : وكيف ذلك ؟ قال : لمكان يوم الجمعة .

حدثنا خالد بن خداش ، ثنا جعفر بن سليمان ، عن أبى التياح قال : كان مطرف يغدوا فإذا كان يوم الجمعة أدلج . (قال) : وسمعت أبا التياح يقول : بلغنا أنه كان ينوّر له فى سوطه ، فأقبل ليلة حتى إذا كان عند مقابر القوم وهو على فرسه فرأى أهل القبور كل صاحب قبر جالساً على قبره . فقالوا : هذا مطرف يأتى الجمعة قلت : وتعلمون عندكم يوم الجمعة ؟ قالوا : نعم . ونعلم ما يقول فيه الطير . (قلت) : وما يقولون ؟ قالوا : يقولون : سلام . سلام .

حدثنى محمد بن الحسين ، حدثنى يحيى بن أبى بكير ، حدثنى الفضل بن موفق بن خال سفيان بن عيينة قال : لما مات أبى جزعت عليه جزعاً شديداً ، فكنت آتى قبره فى كل يوم ، ثم قصرت عن ذلك ما شاء الله ، ثم أنى أتيته يوماً فبينا أنا جالس

عند القبر غلبتنى عيناى فنمت فرأيت كأن قبر أبى قد انفرج ، وكأنه قاعد فى قبره متوشحاً اكفانه عليه سحنة الموتى . (قال) : فكأنى بكيت لما رأيته . قال : يا بنى ما أبطأ بك عنى ؟ (قلت) : وأنك لتعلم بمجيئى ؟ قال : ما جئت مرة إلاّ علمتها ، وقد كنت تأتينى فآنس بك ، فأسر بك ويسر من حولى بدعائك . (قال) : فكنت آتيه بعد ذلك كثيراً .

حدثنى محمد ، حدثنى يحيى بن بسطام ، حدثنى عثمان بن سودة الطفاوى ـ وكانت أمه من العابدات ، وكان يقال لها راهبة ـ : قال : لما احتضرت رفعت رأسها إلى السماء فقالت : يا ذخرى وذخيرتى ، ومن عليه اعتمادى فى حياتى و بعد موتى ؛ لا تخذلنى عند الموت ، ولا توحشنى فى قبرى .

(قال) : فماتت فكنت آتيها فى كل جمعة فأدعو لها ، واستغفر لها ، ولأهل القبور فرأيتها ذات يوم فى منامى فقلت لها يا امه : كيف أنت ؟ قالت أى بنى : إن للموت لكربة شديدة ، وانى بحمد الله لفى برزخ محمود نفترش فيه الريحان ، ونتوسد فيه السندس والاستبرق إلى يوم النشور . فقلت لها : ألك حاجه ؟ قالت : نعم . قلت : وما هى ؟ قالت : لا تدع ما كنت تصنع من زيارتنا والدعاء لنا ، فإنى لابشر بمجيئك يوم الجمعة إذا اقبلت من أهلك . يقال لى يا راهبة : هذا ابنك قد اقبل فأسر و يسر بذلك من حولى من الأموات .

حدثنى محمد بن عبد العزيز بن سليمان ، ثنا بشر بن منصور ، قال : لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف إلى الجبان فيشهد الصلاة على الجنائز . فإذا امسى وقف على باب المقابر فقال : آنس الله وحشتكم ، ورحم غربتكم ، وتجاوز عن مسيئكم ، وقبل حسناتكم . لا يزيد على هؤلاء الكلمات . (قال) : فأمسيت ذات ليلة وانصرفت إلى أهلى ولم آت المقابر فادعو كما كنت أدعو . (قال) : فبينما أنا نائم إذا بخلق كثير قد جاؤنى (فقلت) : ما أنتم وما حاجتكم ؟ . قالوا : نحن أهل المقابر . (قلت) : ما حاجتكم ؟ قالوا : إنك

عودتنا منك هدية عند انصرافك إلى أهلك . (فقلت) : وما هى ؟ قالوا : الدعوات التى كنت تدعو بها . (قال) : قلت فإنى اعود لذلك : (قال) : فما تركتها بعد :

حدثنى محمد ، حدثنى أحمد بن سهل ، حدثنى رشدين بن سعد ، عن رجل ، عن يزيد بن أبى حبيب : ان سليم بن عُمير مرّ على مقبرة وهو حاقن قد غلبه البول . فقال له بعض أصحابه : لو نزلت إلى هذه المقابر فبلت بعض حفرها . فبكى ثم قال : سبحان الله ، والله إنى لأستحى من الأموات كما استحى من الأحياء . ولولا أن الميت يشعر بذلك لما استحيا منه .

***

وأبلغ من ذلك أن الميت يعلم بعمل الحى من اقاربه وأخوانه :

قال عبد الله بن المبارك : حدثنى ثور بن يزيد ، عن إبراهيم ، عن أبى أيوب قال : تعرض أعمال الأحياء على الموتى فإذا رأوا حسناً فرحوا واستبشروا ، وإن رأوا سوءاً قالوا : اللهم راجع به .

وذكر ابن أبى الدنيا ، عن أحمد بن أبى الحوارى ، قال : حدثنى محمد أخى ، قال : دخل عباد بن عباد على إبراهيم بن صالح وهو على فلسطين فقال : عظنى . فقال : بم اعظك أصلحك الله ؟ ! بلغنى أن أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم الموتى ، فانظر ما يعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من عملك ؟ . فبكى ابراهيم حتى اخضل لحيته .

قال ابن أبى الدنيا : وحدثنى محمد بن الحسين ، حدثنى خالد بن عمرو الأموى ، حدثنا صدقة بن سليمان الجعفرى ، قال : كانت لى شرة سمجة فمات أبى فأنبت وندمت على ما فرطت . (قال) : ثم زلت ايما زلة فرأيت أبى فى المنام فقال أى بنى : ما كان أشد فرحى بك ، اعمالك تعرض علينا فنشبهها بأعمال الصالحين ، فلما كانت هذه المرة

استحييت لذلك حياء شديداً فلا تخزنى فيمن حولى من الأموات . (قال) : فكنت اسمعه بعد ذلك يقول فى دعائه فى السحر – وكان جاراً لى بالكوفة – : اسألك انابة لا رجعة فيها ولا حور ، يامصلح الصالحين ، وياهادى المضلين ، ويا أرحم الراحمين .

* * *

وهذا باب فى آثار كثيرة عن الصحابة . وكان بعض الأنصار من أقارب عبد الله ابن رواحة يقول : « اللهم إنى أعوذ بك من عمل أُخزى به عند عبد الله بن رواحة » . كان يقول ذلك بعد أن استشهد عبد الله .

ويكفى فى هذا تسمية المسلم عليهم زائراً ؛ ولولا أنهم يشعرون به لما صح تسميته زائراً ؛ فإن المزور إن لم يعلم بزيارة من زاره لم يصح أن يقال زاره . هذا هو المعقول من الزيارة عند جميع الأمم ؛ وكذلك السلام عليهم أيضاً فإن السلام على من لا يشعر ولا يعلم بالمسلم محال .

وقد علم النبى صلى الله عليه وآله وسلم امته إذا زاروا القبور أن يقولوا : « سلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين ، نسأل الله لنا ولكم العافية . » . وهذا السلام ، والخطاب والنداء لموجود يسمع ويخاطب ، ويعقل ، ويرد وإن لم يسمع الرد . وإذا صلى الرجل قريباً منهم شاهدوه وعلموا صلاته وغبطوه على ذلك .

قال يزيد بن هارون : أخبرنا سليمان التيمى ، عن أبى عثمان النهدى : أن ابن ساس خرج فى جنازة فى يوم وعليه ثياب خفاف فانتهى إلى قبر . قال : فصليت ركعتين ثم اتكأت عليه فوالله إن قلبى ليقظان ؛ إذ سمعت صوتاً من القبر : اليك عنى لا تؤذنى فإنكم قوم تعملون ولا تعلمون ؛ ونحن قوم نعلم ولا نعمل ، ولأن يكون لى مثل ركعتيك أحب إلىّ من كذا ، وكذا . فهذا قد عَلِمَ باتكاء الرجل على القبر وبصلاته .

وقال ابن أبى الدنيا : حدثنى الحسين بن على العجلى ، ثنا محمد بن الصلت ، ثنا

اسماعيل بن عياش ، عن ثابت بن سليم ، ثنا أبو قلابة قال : اقبلت من الشام إلى البصرة فنزلت منزلا فتطهرت وصليت ركعتين بليل ، ثم وضعت رأسى على قبر فنمت ثم انتبهت فإذا صاحب القبر يشتكينى يقول : قد آذيتنى منذ الليلة ، ثم (قال) : إنكم تعملون ولا تعلمون ، ونحن نعلم ولا نقدر على العمل ؛ ثم (قال) : الركعتان اللتان ركعتهما خير من الدنيا وما فيها ؛ ثم قال : جزى الله أهل الدنيا خيراً إقرأهم منا السلام فإنه يدخل علينا من دعائهم نور مثل الجبال .

وحدثنى الحسين العجلى ، ثنا عبد الله بن نمير ، ثنا مالك بن مغول ، عن منصور عن زيد بن وهب قال : خرجت إلى الجبانة فجلست فيها فإذا رجل قد جاء إلى قبر فسواه ، ثم تحول إلىّ فجلس (قال) فقلت : ما هذا القبر ؟ . (قال) اخ لى . فقلت : اخ لك ؟ . (فقال) : اخ لى فى الله رأيته فيما يرى النائم فقلت فلان عشت ؟ الحمد لله رب العالمين . قال : قد قلتها لان أقدر على أن أقولها أحب إلى من الدنيا وما فيها ، ثم قال : ألم تر حيث كانوا يدفنونى فإن فلانا قام فصلى ركعتين؛لأن أكون أقدر على أن أصليهما أحب ألىّ من الدنيا وما فيها .

حدثنى أبو بكر التيمى ، ثنا عبدالله بن صالح ، حدثنى الليث بن سعد ، حدثنى حميد الطويل ، عن مطرف بن عبد الله الحرشى قال : خرجنا إلى الربع فى زمانه ، فقلنا ندخل يوم الجمعة لشهودها وطريقنا على المقبرة . (قال) : فدخلنا فرأيت جنازة فى المقبرة فقلت : لواغتنمت شهود هذه الجنازة فشهدتها . (قال) : فاعتزلت ناحية قريباً من قبر فركعت ركعتين خففتهما لم أرض اتقانهما . ونعست فرأيت صاحب القبر يكلمنى وقال ركعت ركعتين لم ترض اتقانهما ؟ . قلت قد كان ذلك . قال : تعملون ولا تعلمون . ولا نستطيع أن نعمل . لأن أكون ركعت مثل ركعتيك أحب إلىّ من الدنيا بحذافيرها . (فقلت) : من ها هنا ؟ فقال : كلهم مسلم ، وكلهم قد أصاب خيراً . (فقلت) : من ها هنا افضل ؟ فأشار إلى قبر . فقلت فى نفسى : اللهم ربنا اخرجه إلى فأكلمه . (قال):

فخرج من قبره فتى شاب . (فقلت) . أنت أفضل من هاهنا ؟ . قال : قد قالوا ذلك . (قلت) : فبأى شىء نلت ذلك : فوالله ما أرى لك ذلك السن فأقول نلت ذلك بطول الحج والعمرة ، والجهاد فى سبيل الله والعمل . (قال) : قد ابتليت بالمصائب فرزقت الصبر عليها فبذلك فضلتهم .

وهذه المرائى و إن لم تصح بمجردها لاثبات مثل ذلك فهى على كثرتها ، وأنها لا يحصيها إلا الله قد تواطأت على هذا المعنى ، وقد قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « أرى رؤيا كم قد تواطأت على أنها العشر الأواخر » . يعنى لَيْلة القدر . فإذا تواطأت رؤيا المؤمنين على شىء كان ، كتواطئ رواياتهم له ، وكتواطئ رأيهم على استحسانه واستقباحه ، وما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، وما رأوه قبيحاً فهو عند الله قبيح . على أنا لم نثبت هذا بمجرد الرؤيا بل بما ذكرناه من الحجج وغيرها .

***

وقد ثبت فى الصحيح أن الميت يستأنس بالمشيعين لجنازته بعد دفنه :

فروى مسلم فى صحيحه من حديث عبد الرحمن بن شماسة المهرى ، قال : حضرنا عمرو بن العاص وهو فى سياق الموت فبكى طويلاً ، وحوّل وجهه إلى الجدار فجعل ابنه يقول : ما يبكيك يا أبتاه ؛ أما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا ؟ ! . فأقبل بوجهه فقال : « إن افضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله . و إنى كنت على أطباق ثلاث : لقد رأيتنى وما أحد أشد بغضاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منى ، ولا أحب إلىّ أن أكون قد استمكنت منه فقتلته . فلو مت عَلَى تلك الحال لكنت من أهل النار ، فلما جعل الله الإسلام فى قلبى لقيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت . ابسط يدك فلأبايعك . فبسط يمينه . (قال) : فقبضت يدى . (قال): فقال مالك يا عمرو ؟ . (قال) : أردت أن أشترط . قال : تشترط ماذا ؟ . (قلت) .

أن يغفرلى . قال : أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحجّ يهدم ما كان قبله ؟ . وما كان أحد أحب إلىّ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا أجل فى عينى منه ، وما كنت أطيق أن املأ عينى منه إجلالاً له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأنى لم أكن املأ عينى منه . ولو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة ، ثم ولينا أشياء ما أدرى ما حالى فيها . فإذا أنا مت فلا تصحبنى نائحة ولا نار . فإذا دفنتمونى فسنوا علىّ التراب سناً ؛ ثم أقيموا حول قبرى قدر ما تنحر جزور ، ويقسم لحمها حتى استأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربى » . فدل على أن الميت يستأنس بالحاضرين عند قبره ويسرّ بهم

* * *

وقد ذكر عن جماعة من السلف أنهم أوصوا أن يقرأ عند قبورهم وقت الدفن. قال عبد الحق : يروى أن عبدالله بن عمر أمر أن يقرأ عند قبره سورة البقرة . وممن رأى ذلك المعلى بن عبد الرحمن . وكان الإمام أحمد ينكر ذلك أولا حيث لم يبلغه فيه أثر ثم رجع عن ذلك .

وقال الخلال فى : « الجامع . كتاب القراءة عند القبور » : أخبرنا العباس بن محمد الدورى ، ثنا يحيى بن معين ، ثنا مبشر الحلبى ، حدثنى عبدالرحمن بن العلاء بن اللجلاج، عن أبيه قال : قال أبى : إذا أنا مت فضعنى فى اللحد وقل بسم الله ، وعلى سنة رسول الله، وسن علىّ التراب سناً ، واقرأ عند رأسى بفاتحة البقرة وخاتمتها فإنى سمعت عبد الله بن عمر يقول ذلك .

قال عباس الدورى : سألت أحمد بن حنبل قلت: تحفظ فى القراءة على القبر شيئاً ؟ فقال : لا . وسألت يحيى بن معين فحدثنى بهذا الحديث .

قال الخلال : وأخبرنى الحسن بن أحمد الوراق ، ثنا على بن موسى الحداد ، وكان صدوقاً قال : كنت مع أحمد بن حنبل ، ومحمد بن قدامة الجوهرى فى جنازة فلما دفن الميت

جلس رجل ضرير يقرأ عند القبر . فقال له أحمد يا هذا : إن القراءة عند القبر بدعة. فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد بن حنبل يا أبا عبد الله : ما تقول فى مبشر الحلبى ؟ . قال : ثقة . (قال) : كتبت عنه شيئاً ؟ قال : نعم . (قال) : فأخبرنى مبشر، عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج ، عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها ، وقال : سمعت ابن عمر يوصى بذلك . فقال له أحمد : فارجع وقل للرجل يقرأ .

وقال الحسن بن الصباح الزعفرانى : سألت الشافعى عن القراءة عند القبر . فقال : لا بأس بها .

وذكر الخلال عن الشعبى قال : كانت الانصار إذا مات لهم الميت اختلفوا إلى قبره يقرؤن عنده القرآن . (قال) : وأخبرنى أبو يحيى الناقد ، قال : سمعت الحسن بن الجروى يقول : مررت على قبر أخت لى فقرأت عندها تبارك لما يذكر فيها . فجاءنى رجل فقال: إنى رأيت أختك فى المنام تقول : جزى الله أبا على خيراً فقد انتفعت بما قرأ .

***

أخبرنى الحسن بن الهيثم قال : سمعت أبا بكر بن الأطروش بن بنت أبى نصر التمار يقول : كان رجل يجىء إلى قبر أمه يوم الجمعة فيقرأ سورة يس ، فجاء فى بعض أيامه فقرأ سورة يس ثم قال: اللهم إن كنت قسمت لهذه السورة ثواباً فاجعله فى أهل هذه المقابر. فلما كان فى الجمعة التى تليها جاءت امرأة فقالت : أنت فلان بن فلانة؟ قال: نعم. قالت: إن بنتاً لى ماتت فرأيتها فى النوم جالسة على شفير قبرها . فقلت : ما أجلسك ها هنا ؟ . فقالت : إن فلان بن فلانة جاء إلى قبر أمه فقرأ سورة يس وجعل ثوابها لأهل المقابر فأصابنا من روح ذلك ، أو غفر لنا ، أو نحو ذلك .

***

وفى النسائى وغيره من حديث معقل بن يسار المزنى ، عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « اقرأوا يس عند موتاكم » . وهذا يحتمل أن يراد به قراءتها على المحتضر

عند موته مثل قوله : « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله » . ويحتمل أن يراد به القراءة عند القبر . والأول أظهر لوجوه :

أحدها : أنه نظير قوله : « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله » .

الثانى : انتفاع المحتضر بهذه السورة لما فيها من التوحيد ، والمعاد ، والبشرى بالجنة لأهل التوحيد ، وغبطة من مات عليه بقوله : (يا لَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ المُكْرَمِين[1]) فتستبشر الروح بذلك فتحب لقاء الله فيحب الله لقاءه . فإن هذه السورة قلب القرآن ، ولها خاصية عجيبة فى قراءتها عند المحتضر .

وقد ذكر أبو الفرج ابن الجوزى قال : كنا عند شيخنا أبى الوقت عبد الأول وهو فى السياق ، وكان آخر عهدنا به انه نظر إلى السماء وضحك وقال : (يا لَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ * بما غَفَرَ لى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ الْمُكْرَمِين[1]) . وقضى .

الثالث : ان هذا عمل الناس وعادتهم قديماً وحديثاً يقرؤن « يس » عند المحتضر .

الرابع : إن الصحابة لو فهموا من قوله صلى الله عليه وسلم : « اقرءوا يس ، عند موتاكم » قراءتها عند القبر لما أخلوا به ، وكان ذلك أمراً معتاداً مشهوراً بينهم .

الخامس : ان انتفاعه باستماعها وحضور قلبه وذهنه عند قراءتها فى آخر عهده بالدنيا هو المقصود . وأما قراءتها عند قبره فإنه لا يثاب على ذلك ، لأن الثواب إما بالقراءة أو بالاستماع . وهو عمل وقد انقطع من الميت .

***

وقد ترجم الحافظ أبو محمد عبدالحق الاشبيلى على هذا فقال : ذكر ما جاء أن الموتى يسئلون عن الأحياء ؛ و يعرفون أقوالهم وأعمالهم ؛ ثم قال :

ذكر أبو عمر بن عبدالبر من حديث ابن عباس ، عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم :

---

(١) سورة يس ٢٦ و ٢٧

« ما من رجل يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام » . ويروى هذا من حديث أبى هريرة مرفوعاً قال : « فإن لم يعرفه وسلم عليه رد عليه السلام » .

قال : ويروى من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما من رجل يزور قبر أخيه فيجلس عنده إلا استأنس به حتى يقوم » .

واحتج الحافظ أبو محمد فى هذا الباب بما رواه أبو داود فى سننه من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما من أحد يسلم علىّ إلا رد الله علىّ روحى حتى أرد عليه السلام » .

(قال) : وقال سليمان بن نعيم : رأيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى النوم فقلت يا رسول الله : هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك أتفقه منهم ؟. قال : نعم وأرد عليهم . (قال) : وكان صلى الله عليه وسلم يعلمهم أن يقولوا إذا دخلوا المقابر : « السلام عليكم أهل الديار » . (قال) : وهذا يدل على أن الميت يعرف سلام من يسلم عليه ، ودعاء من يدعو له .

قال أبو محمد : ويذكر عن الفضل بن الموفق قال : كنت آتى قبر أبى المرة بعد المرة فأكثر من ذلك ، فشهدت يوماً جنازة فى المقبرة التى دفن فيها فتعجلت لحاجتى ولم آته فلما كان من الليل رأيته فى المنام فقال لى يا بنى : لم لا تأتنى ؟ قلت يا أبت : وإنك لتعلم بى إذا أتيتك ؟. قال : أى والله يا بنى لا أزال أطلع عليك حتى تطلع من القنطرة حتى تصل إلىّ وتقعد عندى ؛ ثم تقوم فلا أزال أنظر إليك حتى تجوز القنطرة .

قال ابن أبى الدنيا : حدثنى إبراهيم بن بشار الكوفى ، قال : حدثنى الفضل بن الموفق فذكر القصة .

وصح عن عمرو بن دينار أنه قال : ما من ميت يموت إلاّ وهو يعلم ما يكون فى أهله بعده ، وأنهم ليغسلونه ويكفنونه وانه لينظر إليهم .

وصح عن مجاهد أنه قال : إن الرجل ليبشر فى قبره بصلاح ولده من بعده .

***

فصل :

ويدل على هذا أيضاً ما جرى عليه عمل الناس قديماً وإلى الآن من تلقين الميت فى قبره . ولولا أنه يسمع ذلك وينتفع به لم يكن فيه فائدة وكان عبثاً . وقد سئل عنه الإمام أحمد رحمه الله فاستحسنه واحتج عليه بالعمل .

ويروى فيه حديث ضعيف ذكره الطبرانى فى معجمه من حديث أبى أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب ، فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول : يا فلان بن فلانة فإنه يسمع ولا يجيب ؛ ثم ليقل : يا فلان بن فلانة الثانية فإنه يستوى قاعداً ؛ ثم ليقل : يا فلان بن فلانة يقول: أرشدنا رحمك الله — ولكنكم لا تسمعون — فيقول : أذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلاّ الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإنك رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ؛ وبمحمد نبياً ، وبالقرآن إماماً . فإن منكراً ونكيراً يتأخر كل واحد منهما ويقول : انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ، ويكون الله ورسوله حجيجه دونهما » . فقال رجل يا رسول الله : فإن لم يعرف أمه ؟ . قال : ينسبه إلى أمه حواء » .

فهذا الحديث وإن لم يثبت فاتصال العمل به فى سائر الأمصار والأعصار من غير

إنكار كاف فى العمل به . وما أجرى الله سبحانه العادة قط بأن أمة طبقت مشارق الأرض ومغاربها ، وهى أكمل الأمم عقولا ، وأوفرها معارفاً تطبق على مخاطبة من لا يسمع ولا يعقل وتستحسن ذلك . لا ينكره منها منكر بل سنه الأول للآخر و يقتدى فيه الآخر بالأول . فلولا أن المخاطب يسمع وإلا كان ذلك بمنزلة الخطاب للتراب ، والخشب ، والحجر ، والمعدوم ، وهذا وإن استحسنه واحد فالعلماء قاطبة على استقباحه واستهجانه .

وقد روى أبو داود فى سننه بإسناد لا بأس به أن النبى صلى الله عليه وسلم حضر جنازة رجل فلما دفن قال : « سلوا لأخيكم التثبيت فإنه الآن يسأل » فأخبر أنه يسأل حينئذ ، و إذا كان يسأل فإنه يسمع التلقين .

وقد صح عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « ان الميت يسمع قرع نعالهم إذا ولوا منصرفين » .

وذكر عبد الحق عن بعض الصالحين قال : مات أخ لى فرأيته فى النوم فقلت يا أخى : ما كان حالك حين وضعت فى قبرك ؟ قال : أتانى آت بشهاب من نار ، فلولا أن داعياً دعا لى لهلكت .

وقال شبيب بن شيبة : أوصتنى أمى عند موتها فقالت يا بنى : إذا دفنتنى فقم عند قبرى وقل : يا أم شبيب قولى لا إله إلا الله . فلما دفنتها قمت عند قبرها فقلت يا أم شبيب : قولى لا إله إلا الله ثم انصرفت . فلما كان من الليل رأيتها فى النوم فقالت يابنى : كدت أن أهلك لولا أن تداركنى لا إله إلا الله فقد حفظت وصيتى يا بنى.

***

وذكر ابن أبى الدنيا عن تماضر بنت سهل امرأة أيوب بن عيينة قالت : رأيت سفيان بن عيينة فى النوم فقال : جزى الله أخى أيوب عنى خيراً فانه يزورنى كثيراً وقد كان عندى اليوم . فقال أيوب : نعم . حضرت الجبان اليوم فذهبت إلى قبره .

وصح عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن شهر بن حوشب أن الصعب بن جثامة ، وعوف بن مالك كانا متواخيين . قال صعب لعوف أى أخى : أينا مات قبل صاحبه فليترايا له . قال : أو يكون ذلك ؟ . قال : نعم . فمات صعب فرآه عوف فيما يرى النائم كأنه قداتاه (قال) : قلت أى أخى . قال : نعم . قلت : ما فعل بكم ؟ . قال غفر لنا بعد المصائب . (قال) : ورأيت لمعة سوداء فى عنقه قلت أى أخى ما هذا ؟ . قال : عشرة دنانير استلفتها من فلان اليهودى فهن فى قرنى فاعطوه إياها ، وأعلم أى أخى أنه لم يحدث فى أهلى حدث بعد موتى إلا قد لحق بى خبره حتى هرة لنا ماتت منذ أيام . وأعلم ان أبنتى تموت إلى ستة أيام فاستوصوا بها معروفاً . فلما أصبحت قلت: إن فى هذا لمعلما فاتيت أهله فقالوا : مرحباً بعوف أهكذا تصنعون بتركة أخوانكم لم تقربنا منذ مات صعب؟ ! ! (قال) : فاعتللت بما يعتل به الناس فنظرت إلى القرن فانزلته فانتشلت ما فيه فوجدت الصرة التى فيها الدنانير . فبعثت بها إلى اليهودى فقلت: هل كان لك على صعب شىء ؟ . قال : رحم الله صعباً كان من خيار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هى له . قلت : لتخبرنى . قال : نعم أسلفته عشرة دنانير فنبذتها إليه . قال : هى والله باعيانها (قال) : قلت هذه واحدة .

(قال) : فقلت هل حدث فيكم حدث بعد موت صعب ؟ قالوا نعم : حدث فينا كذا . (قال) قلت : اذكروا . قالوا نعم هرة ماتت منذ أيام . فقلت هاتان اثنتان .

قلت أين ابنة أخى ؟ قالوا : تلعب . فاتيت بها فمسستها فإذا هى محمومة . فقلت استوصوا بها معروفاً فماتت فى ستة أيام .

وهذا من فقه عوف رحمه الله ، وكان من الصحابة حيث نفذ وصيّة الصعب بن جثامة بعد موته ، وعلم صحة قوله بالقرائن التى أخبره بها من أن الدنانير عشرة وهى فى القرن ، ثم سأل اليهودى فطابق قوله لما فى الرؤيا فجزم عوف بصحة الأمر فأعطى

اليهودى الدنانير . وهذا فقه إنما يليق بافقه الناس وأعلمهم وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولعل أكثر المتأخرين ينكر ذلك ويقول كيف جاز لعوف أن ينقل الدنانير من تركة صعب وهى لأيتامه وورثته إلى يهودى بمنام .

ونظير هذا من الفقه الذى خصهم الله به دون الناس قصة ثابت بن قيس بن شماس وقد ذكرها أبو عمر بن عبد البر وغيره .

قال أبو عمر : أخبرنا عبد الوارث بن سفيان ، ثنا قاسم بن أصبغ ، ثنا أبو الزنباع روح بن الفرج ، ثنا سعيد بن عفير ، وعبد العزيز بن يحيى المدنى ، ثنا مالك بن أنس ، عن ابن شهاب ، عن اسماعيل بن محمد بن ثابت الأنصارى ، عن ثابت بن قيس بن شماس : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له : « يا ثابت أما ترضى أن تعيش حميداً ، وتقتل شهيداً ، وتدخل الجنة ؟ » . قال مالك : فقتل ثابت بن قيس يوم اليمامة شهيداً » .

قال أبو عمر : روى هشام بن عمار ، عن صدقة بن خالد ، ثنا عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر ، قال : حدثنى عطاء الخراسانى قال : حدثتنى ابنة ثابت بن قيس بن شماس قال : لما نزلت : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ[1]) . دخل أبوها بيته وأغلق عليه بابه . ففقده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأرسل إليه يسأله ما خبره . ؟ . قال : أنا رجل شديد الصوت أخاف أن يكون قد حبط عملى . قال : « لست منهم بل تعيش بخير وتموت بخير » .

قال : ثم أنزل الله : (إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ[2]) . فأغلق عليه بابه وطفق يبكى ففقده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأرسل إليه فأخبره فقال يارسول الله : إنى أحب الجمال وأحب أن أسود قومى . فقال : «لست منهم بل تعيش حميداً وتقتل شهيداً ، وتدخل الجنة » . (قال) : فلما كان يوم اليمامة خرج مع خالد بن الوليد إلى مسيلمة فلما التقوا وانكشفوا ، قال ثابت وسالم مولى أبى حذيفة : ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ثم حفر كل واحد له حفرة فثبتا وقاتلا حتى قتلا وعلى

(١) الحجرات ٢ (٢) الحديد ٢٣ .

ثابت يومئذ درع له نفيسة فمر به رجل من المسلمين فأخذها . فبينما رجل من المسلمين نائم إذ أتاه ثابت فى منامه فقال له : أُوصيك بوصية فإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه ؛ إنى لما قتلت أمس مر بى رجل من المسلمين فأخذ درعى ، ومنزله فى أقصى الناس ، وعند خبائه فرس يستن فى طوله ، وقد كفأ على الدرع بُرْمة وفوق البرمة رحل فأت خالدا فمره أن يبعث إلى درعى فيأخذها ، و إذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، يعنى : أبا بكر الصديق فقل له : ان علىّ من الدين كذا . وكذا . وفلان من رقيقى عتيق . فأتى الرجـــل خالداً فأخبره فبعث إلى الدرع فأتى بها ، وحدث أبا بكر برؤياه فأجاز وصيته . (قال) : ولا نعلم أحداً أجيزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس رحمه الله . انتهى ما ذكره أبو عمر .

فقد اتفق خالد وأبو بكر الصديق والصحابة معه على العمل بهذه الرؤيا ، وتنفيذ الوصية بها ، وانتزاع الدرع ممن هى فى يده بها . وهذا محض الفقه .

و إذا كان أبو حنيفة ، وأحمد ، ومالك يقبلون قول المدعى من الزوجين ما يصلح له دون الآخر بقرينة صدقه فهذا أولى .

وكذلك أبو حنيفة يقبل قول المدعى للحائط بوجوه الآجر إلى جانبه و بمعاقد القمط .

وقد شرع الله حد المرأة بأيمان الزوج وقرينة تـكون لها فإن ذلك من أظهر الأدله على صدق الزوج .

وأبلغ من ذلك قتل المقسم عليه فى القسامة بأيمان المدعين مع القرينة الظاهرة من اللوث .

وقد شرع الله سبحانه قبول قول المدعين لتركة ميتهم إذا مات فى السفر ، وأوصى إلى رجلين من غير المسلمين ، فاطلع الورثة على خيانة الوصيين بأنهما يحلفان بالله ويستحقانه وتـكون ايمانهما أولى من أيمان الوصيين . وهذا أنزله الله سبحانه فى آخر الأمر فى سورة المائدة ؛ وهى من آخر القرآن نزولاً ، ولم ينسخها شىء وعمل بها الصحابة بعده .

وهـذا دليل على أنه يُقضى فى الأموال باللوث ، و إذا كان الدم يباح باللوث فى القسامة فلأن يقضى باللوث وهو القرائن الظاهرة فى الأموال أولى وأحرى . وعلى هذا عمل ولاة العدل فى استخراج السرقات من السراق حتى أن كثيراً ممن ينكر ذلك عليهم يستعين بهم إذا سرق ماله .

وقد حكى الله سبحانه عن الشاهد الذى شهد بين يوسف الصديق وامرأة العزيز انه حكم بالقرينة على صدق يوسف وكذب المرأة ، ولم ينكر الله سبحانه عليه ذلك بل حكاه عنه تقريراً له .

وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم ، عن نبى الله سليمان بن داود أنه حكم بين المرأتين اللتين تداعتا الولد للصغرى بالقرينة التى ظهرت له لما قال : ائتونى بالسكين أشق الولد بينكما . فقالت الكبرى : نعم رضيت بذلك للتسلى بفقد ابن صاحبتها ، وقالت الأخرى : لا تفعل هو ابنها فقضى به للشفقة والرحمة التى قامت بقلبها حتى سمحت به للأخرى و يبقى حياً وتنظر إليه . وهذا من أحسن الأحكام وأعدلها . وشريعة الاسلام تقرر مثل هذا وتشهد بصحته ؛ وهل الحكم بالقافة ، والحاق النسب بها للاعتماد على قرائن الشبه مع اشتباهها وخفائها غالباً .

والمقصود ان القرائن التى قامت فى رؤيا عوف بن مالك ؛ وقصة ثابت بن قيس لا تقتصر عن كثير من هذه القرائن ؛ بل هى أقوى من مجرد وجوه الآجر ؛ ومعاقد القمط ، وصلاحية المتاع للمدعى دون الآخر فى مسئلة الزوجين والصانعين . وهذا ظاهر لا خفاء به ، وفطر الناس وعقولهم تشهد بصحته وبالله التوفيق .

والمقصود جواب السائل : وان الميت إذا عرف مثل هذه الجزئيات وتفاصيلها فمعرفته بزيارة الحى له وسلامه عليه ودعائه له أولى واحرى .

***

فصـــل

المسئلة الثانية : وهى أن أرواح الموتى هل تتلاقى ؛ وتتزاور ، وتتذاكر أم لا ؟ .

فهى أيضاً مسئلة شريفة كبيرة القدر وجوابها ؛ أن الأرواح قسمان :

أرواح معذبة ، وأرواح منعمة . فالمعذبة : فى شغل بما هى فيه من العذاب عن التزاور والتلاقى . والأرواح المنعمة المرسلة غير المحبوسة تتلاقى و تتزاور وتتذاكر ما كان منها فى الدنيا ، وما يكون من أهل الدنيا فتكون كل روح مع رفيقها الذى هو على مثل عملها . وروح نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فى الرفيق الأعلى . قال الله تعالى : (وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أنعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا[1]) وهذه المعية ثابتة فى الدنيا ، وفى دار البرزخ ، وفى دار الجزاء . والمرء مع من أحب فى هذه الدور الثلاثة .

***

وروى جرير ، عن منصور ، عن أبى الضحى ، عن مسروق قال : قال أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ما ينبغى لنا أن نفارقك فى الدنيا ؛ فإذا مت رفعت فوقنا فلم نرك . فأنزل الله : (وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا[1])

وقال الشعبى : جاء رجل من الأنصار وهو يبكى إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « ما يبكيك يافلان ؟ . فقال يا نبى الله : والله الذى لا إله إلاّ هو لأنت أحب إلىّ من أهلى ومالى . والله الذى لا إله إلاّ هو لأنت أحب إلىّ من نفسى ، وأنا اذكرك

---

(١) النساء ٦٩

أنا وأهلى فيأخذنى كذا حتى أراك ، فذكرت موتك وموتى فعرفت إنى لن اجامعك إلاّ فى الدنيا ، وانك ترفع مع النّبيّين . وعرفتُ أنى إن دخلتَ الجنة كنتُ فى منزل أدنى من منزلك . فلم يرد النبى صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً فأنزل الله تعالى : (وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُول فَأُولٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ) إلى قوله تعالى : (وَكَفَىٰ بِاللهِ عَلِيماً [1]) . وقال تعالى : (يا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * إرْجِعِى إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي [2]) . أى أدخلى فى جملتهم وكونى معهم . وهذا يقال للروح عند الموت .

* * *

وفى قصة الإسراء من حديث عبد الله بن مسعود قال : لما أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم لقى إبراهيم ، وموسى . وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فتذاكروا الساعة فبدؤا بابراهيم فسألوه عنها فلم يكن عنده منها علم ؛ ثم بموسى فلم يكن عنده منها علم حتى أجمعوا الحديث إلى عيسى فقال عيسى : عهد الله إلىّ فيما دون وجبتها فذكر خروج الدجال (قال) : فأهبط فاقتله و يرجع الناس [3] إلى بلادهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ؛ فلا يمرون بماء إلاّ شربوه ، ولا يمرون بشىء إلا أفسدوه فيجأرون إلىّ فأدعو [4] الله فيميتهم : فتجأر الأرض إلى الله من ريحهم ، ويجأرون إلىّ فادعوا و يرسل الله السماء بالماء فيحمل أجسامهم فيقذفها فى البحر ، ثم ينسف الجبال ، وتمد الأرض مد الأديم . فعهد الله إلىّ إذا كان كذلك فإن الساعة من الناس كالحامل المتم لا يدرى أهلها متى تفجؤهم بولادتها ليلاً أو نهاراً ، وذكره الحاكم ، والبيهقى وغيرهما .

وهذا نص فى تذاكر الأرواح العلم .

---

(١) النساء ٦٩ و ٧٠ .

(٢) الفجر ٢٧ و ٣٠ (٣) من المستدرك .

(٤) هكذا فى المستدرك ووقع فى الأصل : إلى الله فيدعو

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن الشهداء بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون ، وأنهم يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ؛ وأنهم يستبشرون بنعمة من الله وفضل وهذا يدل على تلاقيهم من ثلاثة أوجه :

أحدها : أنهم عند ربهم يرزقون ؛ وإذا كانوا أحياء فهم يتلاقون .

الثانى : أنهم إنما استبشروا باخوانهم لقدومهم عليهم ولقائهم لهم .

الثالث : أن لفظ يستبشرون يفيد فى اللغة أنهم يبشر بعضهم بعضاً مثل يتباشرون .

وقد تواترت المرائى بذلك فمنها : ماذكره صالح بن يشير[1] قال : رأيت عطاء السلمى فى النوم بعد موته فقلت له . يرحمك الله لقد كنت طويل الحزن فى الدنيا ؟ . فقال : أما والله لقد أعقبنى ذلك فرحاً طويلاً ، وسروراً دائماً . فقلت : فى أى الدرجات أنت ؟ . قال : مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

وقال عبد الله بن المبارك : رأيت سفيان الثورى فى النوم فقلت له : ما فعل الله بك ؟ . قال : لقيت محمداً وحزبه .

وقال صخر بن راشد : رأيت عبد الله بن المبارك فى النوم بعد موته فقلت : أليس قَدْ مت ؟ . قال : بلى . قلت : فما صنع الله بك ؟ . قال : غفر لى مغفرة أحاطت بكل ذنب . قلت : فسفيان الثورى ؟ . قال : بخ. بخ ذاك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

---

(١) هو أبو البشر المرى البصرى مات سنة ١٧٦ .

وذكر ابن أبي الدنيا[1] من حديث حماد بن زيد عن هشام بن حسان ، عن يقظة بنت راشد قالت : كان مروان المحلمى جاراً لِي . وكان : قاضياً مجتهداً . (قالت) : فمات فوجدت عليه وجداً شديداً (قالت) : فرأيته فيما يرى النائم قلت أبا عبد الله : ما صنع بك ربك ؟ . قال : ادخلى الجنة . (قلت) : ثم ماذا ؟ . (قال) : ثم رفعت إلى أصحاب اليمين . (قلت) ثم ماذا ؟ . (قال) : ثم رفعت إلى المقربين . (قلت) : فمن رأيت من إخوانك ؟ . (قال) : رأيت الحسن ، وابن سيرين ، وميمون ابن سياه

قال حماد، قال هشام بن حسان: فحدثتنى أم عبد الله ، وكانت من خيار نساء أهل البصرة قالت : رأيت فيما يرى النائم كأنى دخلت داراً حسنة ، ثم دخلت بستاناً حسنة ما شاء الله فإذا أنا فيه برجل متكىء عَلَى سرير من ذهب وحوله الوصفاء بأيديهم الأكاويب . (قالت) : فإنى لمتعجبة من حسن ما أرى إذ قيل هذا مروان المحلمى اقبل . فوثب فاستوى جالساً على سريره . (قالت) : فاستيقظت من منامى فإذا جنازة مروان قد مر بها على بابى تلك الساعة .

***

وقد جاءت سنة صريحة بتلاقى الأرواح وتعارفها .

قال ابن أبي الدنيا : حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيغ ، أخبرنى فضيل بن سليمان النميرى ، حدثنى يحيى بن عبد الرحمن بن أبى لبيبة ، عن جده قال : لما مات بشر بن البراء بن معرور وجدت عليه أم بشر وجداً شديداً . فقالت يارسول الله : انه لا يزال الهالك يهلك من بنى سلمة فهل تتعارف الموتى ؟ فأرسل إلى بشر بالسلام ؟. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : نعم والذى نفسى بيده يا أم بشر أنهم ليتعارفون كما

(١) هو عبد الله بن محمد مات سنة ٢٨١

تتعارف الطير فى رؤس الشجر . وكان لا يهلك هالك من بنى سلمة إلاّ جاءته أم بشر فقالت : يا فلان عليك السلام . فيقول وعليك . فتقول اقرأ على بشر السلام .

وذكر ابن أبى الدنيا من حديث سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن عبيد بن عمير قال : أهل القبور يتوكفون الأخبار فإذا أتاهم الميت قالوا : ما فعل فلان ؟ فيقول : صالح . ما فعل فلان ؟ فيقول ألم يأتكم أو ما قدم عليكم ؟ فيقولون لا . فيقول : إنا لله و إنا إليه راجعون سلك به غير سبيلنا .

وقال صالح المرى : بلغنى أن الأرواح تتلاقى عند الموت . فتقول أرواح الموتى للروح التى تخرج إليهم كيف كان مأواك وفى أى الجسدين كنت فى طيب أم فى خبيث ؟ ثم بكى حتى غلبه البكاء .

وقال عبيد بن عمير : إذا مات الميت تلقته الأرواح يستخبرونه كما يستخبر الركب . مافعل فلان ؟ ما فعل فلان ؟ فإذا قال توفّى ولم يأتيهم . قالوا : ذهب إلى أمه الهاوية .

وقال سعيد بن المسيب : إذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب .

وقال عبيد بن عمير أيضاً : لو أنى آيس من لقاء من مات من أهلى لألفانى قدْ مِت كمداً .

وذكر معاوية بن يحيى ، عن عبد الله بن سلمة أن أبا رهم المسمعى حدثه : أن أبا أيوب الأنصارى حدثه : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إن نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير فى الدنيا ، فيقولون انظروا أخاكم حتى يستريح فإنه كان فى كرب شديد . فيسألونه ما ذا فعل فلان ؟ وماذا فعلت فلانة ؟ وهل تزوجت فلانة ؟ فإذا سألوه عن رجل مات قبله قال : أنه قد مات

مات قبلى . قالوا : إنا لله وإنا إليـه راجعون ذهب إلى أمه الهاوية فبئست الأم وبئست المربية .

***

وقد تقدم حديث يحيى بن بسطام ، حدثنى مسمع بن عاصم قال : رأيت عاصماً الجحدرى فى منامى بعد موته بسنتين فقلت : أليس قَدْ متّ ؟ قال : بلى . قلت : وأين أنت ؟ . قال : أنا والله فى روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابى نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى بكر بن عبد الله المزنى فنتلقى أخباركم . قلت: أجسامكم أم أرواحكم؟ قال : هيهات بليت الأجسام ، وإنمـا تتلاقى الأرواح .

***

فصــــل

المسئلة الثالثة وهى : هل تتلاقى أرواح الأحياء، وأرواح الأموات أم لا ؟.

فشواهد هذه المسئلة وأدلتها أكثر من أن يحصيها إلاّ الله تعالى . والحس والواقع من أعدل الشهود بها فتلتقى أرواح الأحياء والأموات ، كما تلتقى أرواح الأحيـاء . وقد قال تعالى : (اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُس حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ[1]) .

قال أبو عبد الله بن مندة : ثنا أحمد بن محمد بن إبراهيم ، ثنا عبد الله بن حسين الحرانى ، ثنا جدى أحمد بن شعيب ، ثنا موسى بن أعين ، عن مطرف ، عن جعفر بن أبى المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى هذه الآية قال : بلغنى أن أرواح الأحياء والأموات تلتقى فى المنام فيتساءلون بينهم ، فيمسك الله أرواح الموتى ، ويرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها .

وقال ابن أبى حاتم فى تفسيره : ثنا عبد الله بن سليمان ، ثنا الحسين ، ثنا عامر ، ثنا اسباط ، عن السدى فى قوله تعالى : (وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) . قال : يتوفاها فى منامها فيلتقى روح الحى وروح الميت فيتذاكران ويتعارفان . (قال) : فترجع روح الحى إلى جسده فى الدنيا إلى بقيـة أجلها ، وتريد روح الميت أن ترجع إلى جسده فتحبس .

---

(١) الزمر ٤٢

وهذا أحد القولين فى الآية وهو : ان الممسكة من توفيت وفاة الموت أولاً ، والمرسلة من توفيت وفاة النوم ، والمعنى على هذا القول انه يتوفى نفس الميت فيمسكها ولا يرسلها إلى جسدها قبل يوم القيامة ، ويتوفى نفس النائم ثم يرسلها إلى جسدها إلى بقية أجلها فيتوفاها الوفاة الأخرى .

والقول الثانى فى الآية : ان الممسكة والمرسلة فى الآية كلاهما توفى وفاة النوم ، فمن استكملت أجلها أمسكها عنده فلا يردها إلى جسدها ، ومن لم تستكمل أجلها ردها إلى جسدها لتستكمله . واختار شيخ الإسلام[1] هذا القول وقال : عليه يدل القرآن والسنة . (قال) : فإنه سبحانه ذكر إمساك التى قضى عليها الموت من هذه الأنفس التى توفاها وفاة النوم . وأما التى توفاها حين موتها فتلك لم يصفها بإمساك ولا بإرسال بل هى قسم ثالث .

***

والذى يترجح هو القول الأول ؛ لأنه سبحانه أخبر وفاتين : وفاة كبرى وهى وفاة الموت ؛ ووفاة صغرى وهى وفاة النوم . وقسم الأرواح قسمين : قسماً قضى عليها بالموت فأمسكها عنده وهى التى توفاها وفاة الموت . وقسماً لها بقية أجل فردها إلى جسدها إلى استكمال أجلها . وجعل سبحانه الإمساك والإرسال حكمين للوفاتين المذكورتين أولاً .

فهذه ممسكة ، وهذه مرسلة . وأخبر أن التى لم تمت هى التى توفاها فى منامها . فلو كان قد قسم وفاة النوم إلى قسمين : وفاة موت ووفاة نوم لم يقل : (وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) ، فإنها من حين قبضت ماتت . وهو سبحانه قد أخبر أنها لم تمت . فكيف يقول بعد ذلك (فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ) .

ولمن نصر هذا القول أن يقول قوله تعالى : (فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ)

---

(١) هو ابن تيمية شيخ المؤلف .

بعد أن توفاها وفاة النوم فهو سبحانه توفاها أولا وفاة نوم ، ثم قضى عليها الموت بعد ذلك والتحقيق أن الآية تتناول النوعين فإنه سبحانه ذكر وفاتين : وفاة نوم ، ووفاة موت . وذكر إمساك المتوفاة وإرسال الأخرى ، ومعلوم أنه سبحانه يمسك كل نفس ميت سواء مات فى النوم أو فى اليقظة ، ويرسل نفس من لم يمت فقوله : (يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) . يتناول من مات فى اليقظة ومن مات فى المنام

وقد دل على التقاء أرواح الأحياء والأموات : أن الحى يرى الميت فى منامه فيستخبره ويخبره الميت بما لا يعلم الحى فيصادف خبره كما أخبر فى الماضى والمستقبل ، وربما أخبره بمالٍ دفنه الميت فى مكان لم يعلم به سواه ، وربما أخبره بدين عليه وذكر له شواهده وأدلته .

***

وأبلغ من هذا أنه يخبر بما عمله من عمل لم يطلع عليه أحدا من العالمين .

وأبلغ من هذا أنه يخبره أنك تأتينا إلى وقت كذا . وكذا . فيكون كما أخبر ، وربما أخبره عن أمور يقطع الحى أنه لم يكن يعرفها غيره . وقد ذكرنا قصة الصعب بن جثامة وقوله لعوف بن مالك ما قال له . وذكرنا قصة ثابت بن قيس بن شماس وأخباره لمن رآه بدرعه وما عليه من الدين .

وقصة صدقة بن سليمان الجعفرى وأخبار ابنه له بما عمل من بعده . وقصة شبيب بن شيبة وقول أمه له بعد الموت : جزاك الله خيراً حيث لقنها : لا إله إلا الله . وقصة الفضل ابن الموفق مع ابنه وأخباره إياه بعلمه بزيارته .

وقال سعيد بن المسيب : التقى عبد الله بن سلام مع سلمان الفارسى فقال أحدهما للآخر : إن مت قبلى فالقنى فأخبرنى مالقيت من ربك ، وإن أنا مت قبلك لقيتك فاخبرتك . فقال الآخر : وهل تلتقى الأموات والأحياء ؟ . قال نعم. أرواحهم فى الجنة

تذهب حيث شاءت . (قال) : فمات فلان فلقيه فى المنام فقال : توكل وأبشر ، فلم أر مثل التوكل قط .

وقال العباس بن عبد المطلب : كنت أشتهى أن أرى عمر فى المنام فما رأيته إلاّ عند قرب الحلول . فرأيته يمسح العرق عن جبينه وهو يقول : هذا أوان فراغى إن كاد عرشى ليهد لولا أن لقيت رءوفاً رحيماً .

ولما حضرت شريح بن عابد الثمالى الوفاة . دخل عليه غضيف بن الحارث وهو يجود بنفسه فقال يا أبا الحجاج : إن قدرت على أن تأتينا بعد الموت فتخبرنا بما ترى فافعل . (قال) : وكانت كلمة مقبولة فى أهل الفقه (قال) : فمكث زمانا لا يراه ثم رآه فى منامه فقال له : أليس قدمت ؟ . قال : بلى . قال : فكيف حالك ؟ . قال : تجاوز ربنا عنا الذنوب فلم يهلك منّا إلاّ الاحراض . قلت وما الإحراض ؟ قال الذين يشار إليهم بالأصابع فى الشىء .

وقال عبد الله بن عمر بن عبد العزيز : رأيت أبى فى النوم بعد موته كأنه فى حديقة فدفع إلىّ تفاحات فأولتهن الولد . فقلت : أى الأعمال وجدت أفضل ؟ . فقال الاستغفار أى بنى .

ورأى مسلمة بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز بعد موته فقال يا أمير المؤمنين : ليت شعرى إلى أى الحالات صرت بعد الموت ؟ قال يا مسلمة : هذا أوان فراغى . والله ما استرحت إلا الآن . قال قلت : فأين أنت يا أمير المؤمنين ؟ قال مع أئمة الهدى فى جنة عدن .

قال صالح البراد : رأيت زرارة بن أوفى بعد موته فقلت : رحمك الله ماذا قيل لك ، وماذا قلت ؟ فاعرض عنى . قلت : فما صنع الله بك ؟ قال : تفضل علىّ بجوده وكرمه .

قلت : فأبو العلاء بن يزيد أخو مطرف ؟ . قال : ذاك فى الدرجات العلى . (قلت) : فأى الأعمال أبلغ فيما عندكم ؟ . قال التوكل وقصر الأمل .

وقال مالك بن دينار : رأيت مسلم بن يسار بعد موته فسلمت عليه فلم يرد على السلام فقلت : مايمنعك أن ترد السلام ؟ . قال : أنا ميت فكيف أرد عليك السلام . فقلت له : ماذا لقيت بعد الموت؟ . (قال) : لقيت والله أهوالاً وزلازل عظاماً شداداً . (قال) : قلت له فما كان بعد ذلك ؟ . (قال) : وما تراه يكون من الكريم . قبل منا الحسنات ، وعفا لنا عن السيئات ، وضمن عنا التبعات . (قال) : ثم شهق مالك شهقة خر مغشياً عليه . قال : فلبث بعد ذلك أياماً مريضاً ثم انصدع قلبه فمات .

وقال سهيل أخو حزم : رأيت مالك بن دينار بعد موته فقلت له يا أبا يحيى : ليت شعرى ماذا قدمت به على الله . قال : قدمت بذنوب كثيرة محاها عنى حسن الظن بالله عز وجل :

ولما مات رجاء بن حيوة رأته امرأة عابدة فقالت يا أبا المقدام : إلى ما صرتم ؟ قال : إلى خير ، ولكن فزعنا بعدكم فزعة ظننا أن القيامة قامت . قالت قلت : ومم ذلك . قال دخل الجراح وأصحابه الجنة بأثقالهم حتى ازدحموا على بابها .

وقال جميل بن مرة : كان مورق العجلى لى أخاً وصديقاً فقلت له ذات يوم : أينا مات قبل صاحبه فليأت صاحبه فليخبره بالذى صار إليه . قال : فمات مورق فرأت أهلى فى منامها كأنه أتانا كما كان يأتى . فقرع الباب كما كان يقرع قالت : فقمت ففتحت له كما كنت أفتح وقلت : أدخل يا أبا المعتمر إلى باب أخيك . فقال كيف أدخل وقد ذقت الموت ؟ . إنما جئت لأعلم جميلاً بما صنع الله بى . أعلميه أنه قد جعلنى فى المقربين .

ولما مات محمد بن سيرين حزن عليه بعض أصحابه حزناً شديداً فرآه فى المنام فى حال

حسنة فقال يا أخى : قد أراك فى حال يسرّنى فما صنع الحسن ؟ قال : رفع فوقى بسبعين درجة . قلت : ولم ذاك وقد كنا نرى أنك أفضل منه ؟ قال : ذاك بطول حزنه .

وقال ابن عيينة : رأيت سفيان الثورى فى النوم فقلت : أوصنى . قال : أقلّ من معرفة النّاس .

وقال عمار بن سيف : رأيت الحسن بن صالح فى منامى فقلت : قد كنت متمنياً للقائك فماذا عندك فتخبرنا به ؟ . فقال : أبشر فإنى لم أر مثل حسن الظن بالله شيئاً .

ولما مات ضيغم العابد رآه بعض أصحابه فى المنام فقال : أما صليت علىّ ؟ . قال : فذكرت علة كانت . فقال : أما لو كنت صليت علىّ ربحت رأسك .

ولما ماتت رابعة رأتها امرأة من أصحابها وعليها حلة استبرق وخمار من سندس ، وكانت كفنت فى جبة وخمار من صوف فقالت لها : ما فعلت الجبة التى كفنتك فيها وخمار الصوف ؟ . قالت : والله أنه نزع عنى وأبدلت به هذا الذى ترين علىّ وطويت أكفانى ، وختم عليها ورفعت فى عليين ليكمل لى ثوابها يوم القيامة ، قالت : فقلت لها : لهذا كنت تعملين أيام الدنيا ؟ . فقالت : وما هذا عند مارأيت من كرامة الله لأوليائه . فقلت لها : فما فعلت عبدة بنت أبى كلاب ؟ . فقالت : هيهات . هيهات سبقتنا والله إلى الدرجات العلى . قالت قلت : وبم وقد كنت عند الناس أعبد منها ؟ فقالت : انها لم تكن تبالى على أى حال أصبحت من الدنيا أوأمست ، فقلت : فما فعل أبو مالك ، تعنى : ضيغماً ؟ فقالت : يزور الله تبارك وتعالى متى شاء . قالت قلت : فما فعل بشر ابن منصور ؟ . فقالت بخ. بخ . أعطى والله فوق ما كان يأمل ، قالت : قلت مرينى بأمر أتقرب به إلى الله تعالى . قالت : عليك بكثرة ذكر الله فيوشك أن تغتبطى بذلك فى قبرك .

***

ولما مات عبد العزيز بن سليمان العابد رآه بعض أصحابه وعليه ثياب خضر وعلى رأسه إكليل من لؤلؤ فقال : كيف كنت بعدنا ، وكيف وجدت طعم الموت ، وكيف رأيت الأمر هناك ؟ . قال : أما الموت فلا تسأل عن شدة كربه وغمه إلاّ أن رحمة الله وارت عنا كل عيب وما تلقانا إلا بفضله .

وقال صالح بن بشر : لما مات عطاء السلمى رأيته فى منامى فقلت يا أبا محمد : ألست فى زمرة الموتى ؟ قال : بلى . قلت : فماذا صرت إليه بعد الموت ؟ . قال صرت والله إلى خير كثير ، ورب غفور شكور . قال قلت : أما والله لقد كنت طويل الحزن فى دار الدنيا . فتبسم وقال : والله لقد أعقبنى ذلك راحة طويلة وفرحاً دائماً . فقلت : ففى أى الدرجات أنت ؟ قال : مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين ، والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

***

ولما مات عاصم الجحدرى رآه بعض أهله فى المنام فقال : أليس قَدْ متّ ؟ . قال : بلى . (قال) : فأين أنت ؟ . قال : أنا والله فى روضة من رياض الجنة ، أنا ونفر من أصحابى نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى بكر بن عبد الله المزنى فنتلقى أخباركم .

(قال) قلت : أجسادكم أم أرواحكم ؟ فقال : هيهات بليت الأجساد ، وإنما تتلاقى الأرواح . ورؤى الفضيل بن عياض بعد موته فقال : لم أر للعبد خيراً من ربه .

***

وكان مرة الهمدانى قد سجد حتى أكل التراب جبهته فلما مات رآه رجل من أهله فى منامه وكأن موضع سجوده كهيئة الكواكب الدرى . فقال له : ما هذا الأثر الذى

أرى بوجهك ؟ قال : كسى موضع السجود با كل التراب له نوراً . (قال) قلت : فما منزلتك فى الآخرة ؟ قال : خير دار لا ينتقل عنها أهلها ولا يموتون .

***

وقال أبو يعقوب القارئ : رأيت فى منامى رجلاً آدما طوالا والناس يتبعونه . قلت : من هذا ؟ قالوا : أُويس القرنى. فاتبعته فقلت أوصنى يرحمك الله فكلح فى وجهى فقلت : مسترشد فارشدنى رحمك الله . فأقبل علىّ فقال : ابتغ رحمة الله عند محبته ؛ واحذر نقمته عند معصيته ؛ ولا تقطع رجاءك منه فى خلال ذلك . ثم ولى وتركنى .

- وقال ابن السماك : رأيت مسعراً فى النوم فقلت أى الأعمال وجدت أفضل ؟ قال: مجالس الذكر .

- وقال الأجلح : رأيت سلمة بن كهيل فى النوم فقلت : أى الأعمال وجدت أفضل ؟ . قال : قيام الليل .

- وقال أبو بكر بن أبى مريم : رأيت وفاء بن بشر بعد موته فقلت : ما فعلت يا وفاء ؟. قال : نجوت بعد كل جهد . قلت : فأى الأعمال وجدتموها أفضل ؟ . قال : البكاء من خشية الله عز وجل .

وقال الليث بن سعد ، عن موسى بن وردان : أنه رأى عبد الله بن أبى حبيبة بعد موته فقال : عُرضت علىّ حسناتى وسيئاتى فرأيت فى حسناتى حبات رمان التقطتهن فأكلتهن . ورأيت فى سيئاتى خيطى حرير كانا فى قلنسوتى .

***

وقال سنيد بن داود : حدثنى ابن أخى جويرية بن أسماء قال : كنا بعبادان فقدم علينا

شاب من أهل الكوفة متعبد فمات بها في يوم شديد الحر . فقلت نبرد ثم نأخذ في جهازه . فنمت فرأيت كأني في المقابر فإذا بقبة جوهر تتلألأ حسناً وأنا أنظر إليها إذ انفلقت فأشرقت منها جارية ما رأيت مثل حسنها فأقبلت عليّ فقالت : بالله لا تحبسه عنا إلى الظهر . قال : فانتبهت فزعاً وأخذت في جهازه وحفرت له قبراً في الموضع الذى رأيت فيه القبة فدفنته فيه .

— وقال عبد الملك بن عتاب الليثى : رأيت عامر بن عبد قيس في النوم فقلت : أى الأعمال وجدت أفضل ؟ قال : ما أُريدَ به وجه الله عز وجل .

— وقال يزيد بن هارون : رأيت أبا العلاء أيوب بن مسكين في المنام فقلت : ما فعل بك ربك ؟ قال : غفر لى . قلت : بماذا ؟ قال : بالصوم ، والصلاة . قلت : أرأيت منصور بن زاذان ؟ . قال : هيهات . ذاك نرى قصره من بعيد .

— وقال يزيد بن نعامة : هلكت جارية في طاعون الجارف فلقيها أبوها بعد موتها فقال لها : يا بنية اخبرينى عن الآخرة ؟ . قالت يا أبت : قدمنا على أمر عظيم نعلم ولا نعمل ، وتعملون ولا تعلمون . والله لتسبيحة أو تسبيحتان ، أو ركعة أو ركعتان في صحيفة عملى أحب إلىّ من الدنيا وما فيها .

— وقال كثير بن مرة : رأيت في منامى كأنى دخلت درجة علياء في الجنة . فجعلت أطوف بها وأتعجب منها فإذا أنا بنساء من نساء المسجد في ناحية منها ، فذهبت حتى سلمت عليهن ، ثم قلت بما بلغتن هذه الدرجة ؟ . قلن : بسجدات ، وتكبيرات .

* * *

— وقال مزاحم مولى عمر بن عبد العزيز ، عن فاطمة بنت عبد الملك امرأة عمر بن عبد العزيز قالت : انتبه عمر بن عبد العزيز ليلة فقال : لقد رأيت رؤيا معجبة . قالت فقلت : جعلت فداءك فأخبرنى بها . فقال : ما كنت لأخبرك بها حتى أصبح . فلما طلع

الفجر خرج فصلى ثم عاد إلى مجلسه . قالت : فاغتنمت خلوته فقلت : أخبرني بالرؤيا التي رأيت . قال : رأيت كأني رفعت إلى أرض خضراء واسعة كأنها بساط أخضر و إذا فيها قصر أبيض كأنه الفضة ، و إذا خارج قد خرج من ذلك القصر فهتف بأعلى صوته يقول : أين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أين رسول الله [صلى الله عليه وآله وسلم] إذ أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى دخل القصر . قال : ثم ان آخر خرج من ذلك القصر فنادى : أين أبو بكر الصديق ؛ أين ابن أبي قحافة ؟ . إذ أقبل أبو بكر حتى دخل ذلك القصر . ثم خرج آخر فنادى : أين عمر بن الخطاب ؟ فأقبل عمر حتى دخل ذلك القصر . ثم خرج آخر فنادى : أين عثمان بن عفان ؟ فأقبل حتى دخل ذلك القصر ، ثم خرج آخر فنادى : أين علي بن أبي طالب ؟ فأقبل حتى دخل ذلك القصر . ثم ان آخر خرج فنادى : أين عمر بن عبد العزيز . (قال عمر) : فقمت حتى دخلت ذلك القصر . (قال) : فدفعت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والقوم حوله . فقلت بيني و بين نفسي أين أجلس . فجلست إلى جنب عمر بن الخطاب . فنظرت فإذا أبو بكر عن يمين النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، و إذا عمر عن يساره فتأملت فإذا بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و بين أبي بكر رجل فقلت : من هذا الرجل الذي بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و بين أبي بكر ؟ . فقيل : هذا عيسى بن مريم فسمعت هاتفاً يهتف و بيني و بينه ستر نور ياعمر بن عبد العزيز : تمسك بما أنت عليه ، وأثبت على ما أنت عليه ، ثم كأنه أذن لي في الخروج فخرجت من ذلك القصر فالتفت خلفي فإذا بعثمان بن عفان وهو خارج من ذلك القصر يقول : الحمد لله الذي نصرني . و إذا علي بن أبي طالب في أثره خارج من ذلك القصر وهو يقول : الحمد لله الذي غفر لي .

***

وقال سعيد بن أبى عروبة ، عن عمر بن عبد العزيز [قال] : رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر ، وعمر جالسان عنده فسلمت وجلست فبينا أنا جالس إذ أتى بعلى ومعاوية فأدخلا بيتاً ، وأجيف عليهما الباب وأنا أنظر . فما كان بأسرع من أن خرج علىّ وهو يقول : قضى لى ورب الكعبة . وما كان بأسرع من أن خرج معاوية على أثره وهو يقول : غفر لى ورب الكعبة .

وقال حماد بن أبى هاشم : جاء رجل إلى عمر بن عبد العزيز فقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى المنام ، وأبو بكر عن يمينه ، وعمر عن شماله وأقبل رجلان يختصمان وأنت بين يديه جالس . فقال لك يا عمر : إذا عملت فاعمل بعمل هذين لأبى بكر وعمر . فاستحلفه عمر بالله أرأيت هذه الرؤيا ؟ فحلف . فبكى عمر .

***

وقال عبد الرحمن بن غنم : رأيت معاذ بن جبل بعد وفاته بثلاث على فرس أبلق وخلفه رجال بيض عليهم ثياب خضر على خيل بلق وهو قدامهم وهو يقول : (يَالَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ[1]) . ثم التفت عن يمينه وشماله يقول : يا ابن رواحة ؛ يا ابن مظعون : الحمد لله الذى صدقنا وعده ، وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين . ثم صافحنى وسلم علىّ .

وقال قبيصة بن عقبة : رأيت سفيان الثورى فى المنام بعد موته فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال :

نظرت إلى ربىّ عياناً فقال لى	هنيئاً رضاى عنك يا ابن سعيد
فقد كنت قوّاماً إذا الليل قد دجا	بعـــبرة محزون وقلب عميد

---

(١) يس ٢٦ و٢٧

فدونك فاختر أى قصر تريده وزرنى فإنى منك غير بعيد

***

وقال سفيان بن عيينة : رأيت سفيان الثورى بعد موته يطير فى الجنة من نخلة إلى شجرة ، ومن شجرة إلى نخلة وهو يقول : (لمثل هذا فليعمل العاملون) . فقيل له بما أدخلت الجنة ؟ قال : بالورع . بالورع . قيل له : فما فعل على بن عاصم ؟ قال : ما نراه إلاّ مثل الكوكب .

وكان شعبة بن الحجاج ، ومسعر بن كدام حافظين ، وكانا جليلين . قال أبو أحمد اليزيدى فرأيتهما بعد موتهما فقلت أبا بسطام : ما فعل الله بك ؟ . فقال : وفقك الله لحفظ ما أقول :

حبانى إلٰهى فى الجنان بقبة لها ألف باب من لجين وجوهرا
وقال لى الرحمن ياشعبة الذى تبحر فى جمع العلوم فأكثرا
تنعم بقربى اننى عنك ذو رضا وعن عبدى القوام فى الليل مسعرا
كفا مسعرا عزا بأن سيزورنى وأكشف عن وجهى الكريم لينظرا
وهذا فعالى بالذين تنسكوا ولم يألفوا فى سالف الدهر منكرا

قال أحمد بن محمد اللبدى : رأيت أحمد بن حنبل فى النوم فقلت يا أبا عبد الله : ما فعل الله بك ؟ . قال غفر لى ، ثم قال يا أحمد : ضُربت فِيَّ ستين سوطاً ؟ قلت : نعم يارب . قال هذا وجهى قد أبحتك فانظر إليه .

وقال أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج : حدثنى رجل من أهل طرسوس ، قال : دعوت الله عز وجل أن يرينى أهل القبور حتى أسألهم عن أحمد بن حنبل ما فعل الله به ؟ فرأيت بعد عشر سنين فى المنام كأن أهل القبور قد قاموا على قبورهم فبادرونى

بالـكلام فقالوا يا هذا : كم تدعوا الله عز وجل أن يريك إيانا تسألنا عن رجل منذ فارقـكم تحليه الملائـكة تحت شجرة طوبى :

قال أبو محمد عبد الحق : وهذا الـكلام من أهل القبور إنما هو إخبار عن علو درجة أحمد بن حنبل وارتفاع مكانه ، وعظم منزلته فلم يقدروا أن يعبروا عن صفة حاله وعما هو فيه إلاّ بهذا وما هو فى معناه .

* * *

وقال أبو جعفر السقا صاحب بشر بن الحارث رأيت بشر بن الحارث ، ومعروف الـكرخى وهما جائيان فقلت : من أين . فقالا : من جنة الفردوس زرنا كليم الله موسى .

وقال عاصم الجزرى : رأيت فى النوم كأنى لقيت بشر بن الحارث فقلت : من أين يا أبا نصر ؟ قال : من عليين : قلت : ما فعل أحمد بن حنبل ؟ . قال : تركته الساعة مع عبد الوهاب الوراق بين يدى الله عز وجل يأكلان ويشربان . قلت له : فأنت ؟ . قال : عَلِمَ قلة رغبتى فى الطعام فأباحنى النظر إليه .

* * *

وقال أبو جعفر السقاء : رأيت بشر بن الحارث فى النوم بعد موته فقلت أبا نصر : ما فعل الله بك ؟ قال : الطفنى ، ورحمنى . وقال لى بشر : لو سجدت لى فى الدنيا على الجمر ما أديت شكر ما حشوت قلوب عبادى منك . وأباح لى نصف الجنة فأسرح فيها حيث شئت ، ووعدنى أن يغفر لمن تبع جنازتى (فقلت) : ما فعل أبو نصر التمار ؟ . فقال : ذاك فوق الناس بصبره على بلائه وفقره .

قال عبد الحق : لعله أراد بقوله نصف الجنة نصف نعيمها ؛ لأن نعيمها نصفان :

نصف روحانى ، ونصف جسمانى ، فيتنعمون أولا بالروحانى ، فإذا ردت الأرواح إلى الأجساد أضيف لهم النعيم الجسمانى إلى الروحانى .

وقال غيره : نعيم الجنة مرتب على العلم والعمل ، وحظ بشر من العمل كان أوفى من حظه فى العلم . والله أعلم .

***

وقال بعض الصالحين : رأيت أبا بكر الشبلى فى المنام وكأنه قاعد فى مجلس الرصافة بالموضع الذى كان يقعد فيه . وإذا به قد أقبل وعليه ثياب حسان فقمت إليه وسلمت عليه ، وجلست بين يديه . فقلت له : من أقرب أصحابك إليك . قال : ألهجهم بذكر الله . وأقومهم بحق الله وأسرعهم مبادرة فى مرضاة الله .

***

وقال أبو عبد الرحمن الساحلى : رأيت ميسرة بن سليم فى المنام بعد موته فقلت له : طالت غيبتك . فقال : السفر طويل . فقلت له : فما الذى قدمت عليه ؟ فقال : رخص لى لأنا كنا نفتى بالرخص . فقلت : فما تأمرنى به ؟ . قال: اتباع الآثار ، وصحبة الأخيار ينجيان من النار ويقربان من الجبار .

***

وقال أبو جعفر الضرير : رأيت عيسى بن زاذان بعد موته فقلت : ما فعل الله بك ؟ فأنشأ يقول :

لَوْ رَأَيْتَ الحِسَانَ فى الْخُلْدِ حَوْلى ... وأكاويب معهـــا للشرابِ
يَترنمـن بالكتاب جميعـاً ... يَتَمَشَّيْنَ مسبلات الثيـــابِ

***

وقال بعض أصحاب ابن جريج : رأيت كأني جئت إلى هذه المقبرة التي بمكة فرأيت على هامتها سرداقاً ، ورأيت منها قبراً عليه سرادق ، وفسطاط وسدرة فجئت حتى دخلت فسلمت عليه فإذا مسلم بن خالد الزنجي . فسلمت عليه وقلت يا أبا خالد : ما بال هذه القبور عليها سرادق ، وقبرك عليه سرادق ، وفسطاط ، وفيه سدرة ؟ فقال : إني كنت كثير الصيام . فقلت فأين قبر ابن جريج ، وأين محله ؟ فقد كنت أجالسه وأنا أحب أن أسلم عليه . فقال : هكذا بيده هيهات وأدار أصبعه السبابة . وأين قبر ابن جريج رفعت صحيفته في عليين .

***

ورأى حماد بن سلمة في النوم بعض أصحابه فقال له : ما فعل الله بك ؟ فقال : قال لي : طال ما كددت نفسك في الدنيا فاليوم أطيل راحتك وراحة المتعبين .

***

وهذا باب طويل جداً ، فإن لم تسمح نفسك بتصديقه ، أو قلت هذه منامات وهي غير معصومة فتأمل من رأى صاحبا له ، أو قريباً ، أو غيره فأخبره بأمر لا يعلمه إلا صاحب الرؤيا ، أو أخبره بمال دفنه ، أو حذره من أمر يقع ، أو بَشَّرَهُ بأمر يوجد فوقع كما قال ، أخبره بأنه يموت هو أو بعض أهله إلى كذا . وكذا فيقع كما أخبر . أو أخبره بخصب أو جدب ، أو عدّو ، أو نازلة ، او مرض ، أو بغرض له فوقع كما أخبره والواقع من ذلك لا يحصيه إلا الله ، والناس مشتركون فيه وقد رأينا نحن وغيرنا من ذلك عجائب .

وأبطل من قال : إن هذه كلها علوم وعقائد في النفس ، تظهر لصاحبها عند انقطاع نفسه عن الشواغل البدنية بالنوم، وهذا عين الباطل والمحال ، فإن النفس لم يكن فيها

قط معرفة هذه الأمور التى يخبر بها الميت ، ولا خطرت ببالها ، ولاعندها علامة عليها ، ولا أمارة بوجه ما ونحن لا ننكر أن الأمر قد يقع كذلك.

وإن من الرؤيا ما يكون من حديث النفس ، وصورة الاعتقاد ؛ بل كثير من مرائى الناس إنما هي من مجرد صور اعتقادهم المطابق وغير المطابق .

فإن الرؤيا على ثلاثة أنواع : رؤيا من الله [عز وجل] ، ورؤيا من الشيطان ، ورؤيا من حديث النفس .

والرؤيا الصحيحة أقسام :

منها : إلهام يلقيه الله سبحانه فى قلب العبد وهو كلام يكلم به الرب عبده فى المنام كما قال عبادة بن الصامت وغيره .

ومنها : مثل يضرب به له ملك الرؤيا الموكل بها .

ومنها : إلتقاء روح النائم بأرواح الموتى من أهله ، وأقاربه ، وأصحابه وغيرهم كما ذكرنا .

ومنها : عروج روحه إلى الله سبحانه وخطابها له .

ومنها دخول روحه إلى الجنة ومشاهدتها وغير ذلك . فالتقاء أرواح الأحياء والموتى نوع من أنواع الرؤيا الصحيحة التى هي عند الناس من جنس المحسوسات .

وهذا موضع اضطرب فيه الناس . فمن قائل : إن العلوم كلها كامنة فى النفس ، وإنما اشتغالها بعالم الحس يحجب عنها مطالعتها . فإذا تجردت بالنوم رأت منها ما بحسب استعدادها.

ولما كان تجردها بالموت أكمل كانت علومها ومعارفها هناك أكمل . وهذا فيه حق وباطل فلا يرد كله ، ولا يقبل كله ، فإن تجرد النفس يطلعها على علوم ومعارف

لا تحصل بدون التجرد ؛ لـكن لو تجردت كل التجرد لم تطلع على علم الله الذى بعث به رسوله (صلى الله عليه وسلم) وعلى تفاصيل ما أخبر به عن الرسل الماضية والأمم الخالية ، وتفاصيل المعاد ، وأشراط الساعة ، وتفاصيل الأمر ، والنهى ، والأسماء ، والصفات ، والأفعال وغير ذلك بمـا لا يعلم إلاّ بالوحى ، ولـكن تجرد النفس عون لها على معرفة ذلك ، وتلقيه من معدنه أسهل وأقرب وأكثر ممـا يحصل للنفس المنغمسة فى الشواغل البدنية .

ومن قائل : إن هذه المرائى علوم علقها الله فى النفس ابتداء بلا سبب . وهذا قول منكرى الأسباب والحكم والقوى وهو قول مخالف للشرع والعقل والفطرة .

ومن قائل : إن الرؤيا أمثال مضروبة يضربها الله للعبد بحسب استعداده ألقاه على يدِ ملك الرؤيا . فمرة يكون مثلاً مضروباً ؛ ومرة يكون نفس ما رآه الرائى فيطابق الواقع مطابقة العلم لمعلومه .

وهذا أقرب من القولين قبله ، ولـكن الرؤيا ليست مقصورة عليه بل لها أسباب أخر كما تقدم من ملاقاة الأرواح ، واخبار بعضها بعضاً ، ومن القاء الملك الذى فى القلب والروح ، ومن رؤية الروح للأشياء مكافحة بلا واسطة .

***

وقد ذكر أبو عبد الله بن مندة الحافظ فى كتاب : « النفس والروح » من حديث محمد بن حميد ، ثنا : عبد الرحمن بن مغراء الدوسى ، ثنا : الأزهر بن عبد الله الأزدى ، عن محمد بن عجلان ، عن سالم بن عبد الله ، عن أبيه قال : لقى عمر بن الخطاب على بن أبى طالب فقال له : يا أبا الحسن : ربما شهدت وغبنا ، وغبت وشهدنا ثلاث أسألك عنهن عندك منهن علم ؟ . فقال على بن أبى طالب : وما هن ؟ . فقال : الرجل يحب الرجل ولم ير منه خيراً ، والرجل يبغض الرجل ولم ير منه شراً ؟ . فقال على : نعم .

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « إن الأرواح جنود مجندة تلتقى فى الهواء فتشأم ، فما تعارف منها إئتلف ، وما تناكر منها اختلف » . فقال عمر : واحدة . قال عمر : والرجل يحدث الحديث إذ نسيه فبينا هو وما نسيه إذ ذكره ؟ . فقال : نعم . سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « ما فى القلوب قلب إلاّ وله سحابة كسحابة القمر بينا القمر مضىء إذ تجللته سحابة فأظلم إذ تجلت فأضاء ؛ و بينا القلب يتحدث إذ تجللته سحابة فنسى إذ تجلت عنه فيذكر » . قال عمر : اثنتان . قال عمر : والرجل يرى الرؤيا فمنها ما يصدق ، ومنها ما يكذب ؟ . فقال : نعم . سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « ما من عبد ينام يمتلى نوماً إلا عرج بروحه إلى العرش فالذى لا يستيقظ دون العرش فتلك الرؤياء التى تصدق . والذى يستيقظ دون العرش فهى التى تكذب » . فقال عمر : ثلاث كنت فى طلبهن فالحمد لله الذى أصبتهن قبل الموت .

***

وقال بقية بن الوليد : حدثنا صفوان بن عمرو ، عن سليم بن عامر الحضرمى ، قال : قال عمر بن الخطاب : عجبت لرؤيا الرجل يرى الشىء لم يخطر له على بال فيكون كأخذ بيد ، ويرى الشىء فلا يكون شيئاً ؟ فقال على بن أبى طالب : يا أمير المؤمنين ، يقول الله عز وجل : (الله يتوفى الأنفس حين موتها ، والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى) . قال : والأرواح يعرج بها فى منامها فما رأت وهى فى السماء فهو الحق ، فإذا ردت إلى أجسادها تلقتها الشياطين فى الهواء فكذبتها فما رأت من ذلك فهو الباطل . قال : فجعل عمر يتعجب من قول علىّ . قال ابن مندة : هذا خبر مشهور عن صفوان ابن عمرو وغيره . وروى عن أبى الدرداء .

وذكر الطبرانى من حديث علىّ بن أبى طلحة أن عبد الله بن عباس قال لعمر بن الخطاب يا أمير المؤمنين : أشياء أسألك عنها؟ قال : سل عما ماشئت. قال يا أمير المؤمنين : مم يذكر الرجل ومم ينسى ، ومم تصدق الرؤيا ومم تكذب ؟ فقال له عمر : إن على القلب طخاوة كطخاوة القمر فإذا تغشت القلب نسى ابن آدم ، فإذا انجلت ذكر ما كان نسى . وأما مم تصدق الرؤيا ومم تكذب فإن الله عز وجل يقول : (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها) . فمن دخل منها فى ملكوت السماء فهى التى تصدق ، وما كان منها دون ملكوت السماء فهى التى تكذب .

***

وروى ابن لهيعة عن عثمان بن نعيم الرعينى ، عن أبى عثمان الأصبحى عن أبى الدرداء قال : إذا نام الإنسان عرج بروحه حتى يؤتى بها العرش ، فإن كان طاهراً أذن لها بالسجود ، وإن كان جنبا لم يؤذن لها بالسجود .

وروى جعفر بن عون ، عن إبراهيم الهجرى ، عن أبى الأحوص ، عن عبد الله بن مسعود أنه قال : « إن الأرواح جنود مجندة تتلاقى فتشأم كما تشأم الخيل ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تذاكر منها اختلف » .

ولم يزل الناس قديما وحديثاً تعرف هذا وتشاهده . قال جميل بن معمر العذرى :

أظل نهارى مستهامًا وتلتقى   مع الليل روحى فى المنام وروحها

***

فإن قيل ؟ فالنائم يرى غيره من الأحياء يحدثه ويخاطبه وربما كان بينهما مسافة بعيدة ويكون المرئى يقظان روحه لم تفارق جسده فكيف التقت روحاهما ؟

قيل هذا إما أن يكون مثلا مضروبا ضربه ملك الرؤيا للنائم ، أو يكون

حديث نفس من الرائى تجرد له فى منامه كما قال حبيب بن أوس :

سـقيا لطيفك من زور أتاك به حديث نفسك عنه وهو مشغول

وقد تتناسب الروحان ، وتشتد علاقة أحدهما بالأخرى فيشعر كل منها ببعض ما يحدث لصاحبه وإن لم يشعر بما يحدث لغيره لشدة العلاقة بينهما ، وقد شاهد الناس عجائب .

***

والمقصود : أن أرواح الأحياء تتلاقى فى النوم كما تتلاقى أرواح الأحياء والأموات قال بعض السلف : إن الأرواح تتلاقى فى الهواء فتتعارف ، أو تتذاكر فيأتيها ملك الرؤيا بما هو لاقيها من خير أو شر . (قال) : وقد وكل الله بالرؤيا الصادقة ملكاً علمه وألهمه معرفة كل نفس بعينها ، واسمها ، ومتقلبها فى دينها ودنياها ، وطبعها ومعارفها لا يشتبه عليه منها شىء ، ولا يغلط فيها . فتأتيه نسخة من علم غيب الله من أم الكتاب بما هو مصيب لهذا الإنسان من خير وشر فى دينه ودنياه . ويضرب له فيها الأمثال والأشكال على قدر عادته فتارة يبشره بخير قدّمه ، أو يقدمه وينذره من معصية ارتكبها ، أو همّ بها . ويحذره من مكروه انعقدت أسبابه ليعارض تلك الأسباب بأسباب تدفعها ولغير ذلك من الحكم والمصالح التى جعلها الله فى الرؤيا نعمة منه ورحمة وإحساناً ، وتذكيراً وتعريفاً . وجعل أحد طرق ذلك تلاقى الأرواح وتذاكرها وتعارفها . وكم ممن كانت توبته وصلاحه ، وزهده وإقباله على الآخرة عن منام رآه أو أُرِىَ له ، وكم ممن استغنى وأصاب كنزاً ودفيناً عن منام .

***

وفى كتاب « المجالسة » لأبى بكر أحمد بن مروان المالكى عن أبن قتيبة ، عن أبى حاتم ، عن الأصمعى ، عن أبن المعتمر بن سليمان ، عمن حدثه قال : خرجنا مرة فى سفر وكنا ثلاثة نفر فنام أحدنا فرأينا مثل المصباح خرج من أنفه فدخل غاراً قريباً منه ؛ ثم رجع فدخل أنفه فاستيقظ يمسح وجهه وقال : رأيت عجباً رأيت فى هذا الغار كذ . وكذا فدخلناه فوجدنا فيه بقية من كنز كان .

***

وهذا عبد المطلب دل فى النوم على زمزم وأصاب الكنز الذى كان هناك . وهذ. عمير بن وهب أتى فى منامه فقيل له : قم إلى موضع كذا وكذا ، من البيت فاحفره تجد مال أبيك ، وكان أبوه قد دفن مالاً ومات ولم يوص به . فقام عمير من نومه فاحتفر حيث أمره فأصاب عشرة الآف درهم وتبراً كثيراً فقضى دينه وحسن حاله وحال أهل بيته . وكان ذلك عقب إسلامه فقالت له الصغرى من بناته يا ابت : ر بنا هذا الذى حبانا بدينه خير من هبل والعزى ؛ ولولا أنه كذلك ما ورثك هذا المال و إنما عبدته أياماً قلائل .

***

قال على بن أبى طالب القيروانى العابر : وما حديث عمير هذا واستخراجه المال بالمنام بأعجب مما كان عندنا وشاهدناه فى عصرنا بمدينتنا من أبى محمد عبد الله البغانشى (١) وكان رجلا صالحاً مشهوراً برؤية الأموات ، وسؤآلهم عن الغائبات ، ونقله ذلك إلى أهلهم وقراباتهم حتى اشتهر بذلك وكثر منه . فكان المرء يأتيه فيشكو إليه أن حميمه قد مات من غير وصية وله مال لا يهتدى مكانه فيعده خيراً ، ويدعو الله تعالى فى ليلة فيترا آى له الميت الموصوف فيسأله عن الأمر فيخبره به .

***

(١) التعايشى .

فمن نوادره : إن امرأة عجوزاً من الصالحات توفيت ولإمرأة عندها سبعة دنانير وديعة فجاءت إليه صاحبة الوديعة وشكت إليه ما نزل بها وأخبرته باسمها واسم الميتة صاحبتها ثم عادت إليــه من الغد فقال لها : تقول لك فلانة : عدى فى سقف بيتى سبع خشبات تجدى الدنانير فى السابعة فى خرقة صوف . ففعلت ذلك فوجدتها كما وصف لها .

***

قال: وأخبرنى رجل لا أظن به كذبا : استأجرتنى امرأة من أهل الدنيا على هدم دار لها و بنائها بمال معلوم فلما أخذت فى الهدم لزمت الفعلة هى ومن معها . فقلت : مالك ؟ قالت : والله مالى إلى هدم هذه الدار من حاجة ، لـكن أبى مات . وكان : ذا يسار كثير فلم نجد له كثير شىء ، فخلت ان ماله مدفون فعمدت إلى هدم الدار لعلى أجد شيئاً . فقال لها بعض من حضرنا: لقد فاتك ما هو أهون عليك من هذا . قالت : وما هو ؟ قال : فلان تمضين إليه وتسألينه أن يبيت قصتك الليلة فلعله يرى أباك فيدلك على مكان ماله بلا تعب ولا كلفة . فذهبت إليه ثم عادت إلينا فزعمت أنه كتب اسمها واسم أبيها عنده ، فلما كان من الغد بكرت إلى العمل وجاءت المرأة من عنـد الرجل فقالت : إن الرجل قال لى : رأيت أباك وهو يقول المال فى الحنية . قال فجعلنا نحفر تحت الحنية وفى جوانبها حتى لاح لى شق و إذا بالمال فيــه . قال : فأخذنا فى التعجب والمرأة تستخف بما وجدت وتقول : مال أبى أ كثر من هذا ، ولـكنى أعود إليه . فمضت فاعلمته ثم سألته المعاودة . فلما كان من الغد أتت وقالت : انه قال لها أن أباك يقول لك أحفرى تحت الجابية المربعة التى فى مخزن الزيت . قال ففتحت المخزن فإذا بجابية مربعة فى الركن فأزلناها وحفرنا تحتها فوجدنا كوزاً كبيراً فأخذته ؛ ثم دام بها الطمع فى المعاودة ففعلت فرجعت من عنده وعليها الـكآبة فقالت : زعم أنه رآه وهو يقول له : قد أخذت ما قدر لها ، وأما ما بقى فقد جلس عليه عفريت من الجن يحرسه إلى من قدر له . والحـكايات فى هذا الباب كثيرة جداً .

***

وأما من حصل له الشفاء باستعمال دواء رأى من وصفه له في منامه فكثير جداً .

وقد حدثني غير واحد ممن كان غير مائل إلى شيخ الإسلام ابن تيمية أنه رآه بعد موته وسأله عن شيء كان يشكل عليه من مسائل الفرائض وغيرها فاجابه بالصواب .

***

وبالجملة فهذا أمر لا ينكره إلا من هو أجهل الناس بالأرواح وأحكامها وشأنها وبالله التوفيق[١] .

***

(بعونه تعالى تمت الرساله الأولى من آثار علماء السلف

وسيتبعها الثانية إن شاء الله تعالى)

(١) انظر كتاب الروح : في الهند